

الرباط المقدس

مدخل لتاريخ الهيئات العسكرية الصليبية في بلاد الشام في القرنين 12 – 13م

دكتور/ محمد فوزي رحيل

مركز التاريخ العربي للنشر

الربـاط المقـدس

مدخل لتاريخ الهيئات العسكرية الصليبية في بلاد الشام

في القرنين ١٢ – ١٣م

دكتور

محمد فوزي مصري رحيل

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

الطبعة الأولى
(١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م)

اسم الكتاب : الرباط المقدس - مدخل لتاريخ الهيئات العسكرية الصليبية في بلاد الشام في القرنين ١٢ – ١٣م

تأليف : محمد فوزي مصري رحيل

موضوع الكتاب : تاريخ - تراجم

عدد الصفحات : ١٢٤ صفحة

مقاس الكتاب : ١٧ x ٢٤ سم

الترقيم الدولي : ٢-٨-٦٩٧٤٢-٦٠٥-٩٧٨





التوزيع والنشر
6/11 شارع وحيد أفندي - حي توفيق بيك - كوجوك
جكمجة - اسطنبول - تركيا - ت: 00905454886870
هاتف: 00201555566139 - 00201027013326
E-mail: info@arabhistorypublishing.com
Websit: www.arabhistorypublishing.com

الربـاط المقـدس



مدخل لتاريخ الهيئات العسكرية الصليبية في بلاد الشام

في القرنين ١٢ – ١٣م

إهـــداء

إلى روح أبي الحبيب في أكرم جوار

نسأل الله أن يسكنه الفردوس الأعلى

مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

وحسن أولئك رفيقا

تقديــــم

يسعدني ويشرفني أن أقدم لكتاب: "الرباط المقدس: مدخل لتاريخ الهيئات العسكرية الصليبية في بلاد الشام" من تأليف الدكتور محمد فوزي رحيل، المؤرخ الصاعد الواعد في مجال تاريخ الحروب الصليبية. يتناول الكتاب تلك الهيئات مثل: الاسبتارية، والداوية، والتيوتون، والقديس توماس، والقديس لازاروس بأسلوب سلس، ويحوي معلومات مهمة للقارئ المثقف وكذلك المتخصص.

عرفت المؤرخ الشاب المذكور من أعوام عديدة عندما كان يعد لأطروحته للدكتوراه عن عكا الصليبية بين عوامل الانهيار والسقوط، فلاحظت مدى ما يتمتع به من حرص على العلم وقبل ذلك ما لديه من خلق رفيع يشهد به الجميع.

إنني أقدم هذا الكتاب للدكتور محمد فوزي رحيل ألفت نظر القارئ إلى أهمية الموضوع، وأهمية تناوله من ذلك المؤرخ الذي قدم للمكتبة العربية عدة مؤلفات مهمة، وأتصور أن كتابه الحالي سيكون بمثابة مقدمة لمؤلفات أخرى تضاف إلى رصيده في مجال عصر الحروب الصليبية.

وبصفة عامة يمثل الكتاب المذكور إضافة علمية للمؤرخ النابه الدكتور محمد فوزي رحيل، وقد دل على قدرته على توضيح التاريخ وتيسيره لأكبر قطاع من القراء. ومن جانبي أتمنى له دوام التقدم والازدهار في ظل ما يتمتع به من حماس علمي مشهود ومن قبله خلق رفيع نادر في هذا الزمان.

أ.د/ محمد مؤنس عوض

الشارقـــة

٢٠ ديسمبر ٢٠١٩م

المقدمـة

حين أسس الصليبيون كياناتهم الأربع في الساحل الشامي في مطلع القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي (الرها، أنطاكية، بيت المقدس، طرابلس)، صادفهم تحد كبير، هذا التحدي تمثل في وقوع هذه الكيانات في وسط محيط إسلامي معادٍ، هائل الإمكانيات المادية والبشرية، في حين أن من بقي من الأوربيين بعد هدوء موجة الفتح الأولى كانت أعدادًا محدودة من السكان، لا يمكن أن تفي بحاجات هذه الكيانات الأربع من الناحية السكانية والناحية الدفاعية، وفي هذه الإطار كان لا بد من إيجاد حلول بديلة لزيادة القوة الدفاعية للممتلكات الصليبية في الساحل الشامي، وتعويض النقص البشري مما هيأ الظروف لظهور عدد من الهيئات الدينية

التي تحولت تدريجيًا من الأغراض الخيرية بالأساس إلي الأغراض العسكرية، ما خلق رباطًا مقدسًا جمع بين الرهبنة وما ترمز إليه من سلام وبين الفروسية ذات الطبيعة الدموية[1]، دعم ذلك الرباط التأييد الأوربي متمثلاً في تدفق الهبات والتبرعات المادية والعينية على هذه الهيئات حتى غدت موفورة الثراء، ولم تتدفق هذه الهبات من فراغ ولكن تدفقت في ظل الخدمات التي قامت بها هذه الهيئات في مجالات خدمة الحجاج، وعلاج المرضى، ومداواة الجرحى، ودفن الموتى.

---

(١) عرفت فروسية الرهبان الفرسان بالفروسية الجديدة، تلك الفروسية التي مزجت بين اثنتين من المثل التي سادت العصور الوسطى في أوربا وهما: الديرية والفروسية، والهدف من ذلك السعي للسمو بطبقة الفرسان وتطهيرهم من أدران الفروسية العلمانية التي تنافس أعضاؤها فيما بينهم على السلب والنهب، متجنبين الدفاع عن الأرامل والأيتام؛ ليظهر الراهب المقاتل، أو فارس المسيح المتخصص في كنس الأرض أو سفك دم غير المؤمنين به، وخصوصًا المسلمين دون الشعور بالإثم. هذا وقد تباينت مواقف المعاصرين حول فكرة الراهب المقاتل؛ ذلك أن بعض المعاصرين لنشأة الهيئات الدينية العسكرية انتقد الفكرة بالكلية حتى من الرهبان السسترشيان أنفسهم الذين خرج منهم برنارد من كليرفو ليقدس هذه الجريمة، ومنهم اسحق من ليتوال Isaac – رئيس دير السسترشيان في بواتو – والذي اعتبر أن الفرسان الداوية إنجيلاً خامسًا؛ أي منبوذًا وغير شرعي، ووصف الرهبنة العسكرية –الفرسان الداوية– بأنها الوحش **الجديد** Novum Monstrum، كما وافقه في رأيه هنريHenry of Huntington رئيس شماسة هنتنجدون، الذي وصف الفروسية الجديدة عام ٥٤٠هـ/١١٤٥م بأنها نوع جديد من الوحوش يجمع بين الطهارة والفساد، غير أن هذه الآراء لم تجد من يسوقها إعلامياً بشكل مناسب، وكانت النتيجة أن ارتفع صوت المؤيدين الأثرياء الممتلكين لآلة الإعلام القوية. لمزيد من التفاصيل انظر: توماش ماستناك، السلام الصليبي، ترجمة بشير السباعي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٢٣٥-٢٣٦، محمد فوزي رحيل: التشريعات الأولية المنظمة لهيئة الفرسان الداوية وأثرها في الحرب مع المسلمين، حصاد مؤتمر التاريخ الحربي عبر العصور، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، ص ١٤٥-١٧٤.

وقد باركت البابوية الرومانية الكاثوليكية نشأة هذه الهيئات، وجعلتها تحت تبعيتها وتوجيهها المباشر، على أن تعاون حكام الكيانات الصليبية في الأغراض العسكرية عند الحاجة، ومن ثم صار البابا هو المرجع الأعلى لهذه الهيئات وليس ملك مملكة بيت المقدس الصليبية، ومن هنا صارت هذه الهيئات دولاً داخل الدول الصليبية، وهو ما ترك ظلالاً قاتمة على أسلوب إدارة الصراع الإسلامي الصليبي خاصة في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي حين ضعفت مملكة بيت المقدس، وتقلصت في شريط ساحلي تراجعت معه إمكانياتها المادية والبشرية، في حين أتخمت هذه الهيئات بالمال والرجال، فصارت لها اليد الطولى في إدارة الصراع الإسلامي الصليبي.

وفي هذا الكتاب سوف نقدم رؤى بانورامية لأهم الهيئات التي ظهرت في الساحل الشامي وهي: الاسبتارية و الداوية والتيوتون، والفرسان الإنجليز، والفرسان المجذومين. ولا ندعي أن هذه هي المحاولة الأولي للكتابة عنهم بل كثرت الدراسات والبحوث سواء في الشرق أو الغرب على حد سواء، غير أن هذه الدراسات أتخمت بالتفاصيل وثقلت بالنقاشات حتى صار من العسير على غير المتخصص أو من بدأ لتوه ولوج حقل دراسات العلاقات بين الشرق والغرب أن يتعرف بسهولة على دور هذه الهيئات ذات الدور البارز في هذا الحقل.

ومن هنا تصديت للقيام بهذا الدور، والذي اسعي من خلاله لتقديم هذه الهيئات في صورة مبسطة يمكن للمثقف المهتم بالعلاقات بين الشرق والغرب أن يتعرف عليها بسهولة وكذلك المبتدئين من طلاب الدراسات العليا في هذا المجال يمكنهم الحصول على تصور مبدئي لهذه الهيئات وهو ما يعبد لهم الطريق للتعمق في هذا المجال.

ونظراً لان الصورة كثيراً ما تؤدي دوراً لا ينكر في زيادة الأمور وضوحا فقد عضدت كل فصل بعدد من الصور التوضيحية المرتبطة بالأحداث بجانب تذييل كل فصل بقائمة بكبار الموظفين الذين شغلوا مناصب الهيئة وكذلك قائمة استرشادية بأهم المصادر والمراجع والبحوث العربية منها والأجنبية، التي يمكن الاستفادة منها حال الرغبة في التعمق واستجلاء المزيد حول هذه الهيئات سواء للإطلاع العام أو البحث العلمي.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

د. محمد فوزي مصري رحيل

الفصل الأول

الفرسان الاسبتارية The Hospitallers

الفرسان الاسبتارية

The Hospitallers

تعرض قلب العالم الإسلامي في الساحل الشامي لهجمة استعمارية شرسة في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي عرفت بالحروب الصليبية، تمكنت هذه الهجمة من تأسيس مملكة بيت المقدس وثلاث إمارات هي الرها وأنطاكية وطرابلس، وخلال هذه الحرب التي استمرت طوال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، ظهرت العديد من الهيئات الدينية التي تحولت إلي هيئات عسكرية تبعت البابوية بشكل مباشر ونمت قوتها بصورة تدريجية حتى صارت دولاً داخل الكيانات الصليبية، ومن بين هذه الهيئات هيئة الفرسان الاسبتارية التي عرفت أيضاً بهيئة القديس يوحنا .

تأسيس الهيئة

توافد المسيحيون الأوربيون بأعداد كبيرة على مدينة القدس في عصر ما قبل الحروب الصليبية بغرض الحج إلي هذه المدينة المقدسة، وهو ما دعي إلي إيجاد نوع من الرعاية الاجتماعية والطبية لهؤلاء الزوار، ومن ثم تأسست عدد من المنشآت الخيرية والمستشفيات من بينها المشفى الذي أسسه عدد من تجار مدينة أمالفي الإيطاليون في القدس، وذلك في إطار العلاقات التجارية الممتازة التي ربطت الخلافة الفاطمية بتجار مدينة أمالفي،

وهو ما مكن هؤلاء التجار من الحصول على تصريح من الخليفة الفاطمي الظاهر في عام ١٠٨٠م بالحصول على مساحة من الأرض في مدينة القدس أسسوا عليها ديراً وبجوار الدير مستشفى لرعاية الحجاج، وقد كان مقرهم لا يبعد عن كنيسة الضريح المقدس عن رمية حجر، وفي البداية كان المشفى يعالج الحجاج المسيحيين رجالا ونساء ومع إقبال الحجاج عليه تم إنشاء مشفى خاص بالنساء عرف باسم مستشفي القديسة مريم المجدلية، وقد نسبت المستشفى الأمالفية إلي القديس يوحنا. وقد كان أول مقدمي المستشفي هو الراهب جيرار الذي كون هيئة رهبانية لخدمة المرضى، يحمل كل عضو من أعضائها لقب **Hospitaller** ومعناه الممرض. وفي ظل الخدمات الكبيرة التي قدمها المشفى للحجاج الفقراء حصل على كثير من الدعم العيني والنقدي من المسيحين الأتقياء، بحيث ظل المشفى يعمل حتى استولى الصليبيون على القدس عام ١٠٩٩م. وقد خشي حاكم القدس الفاطمي افتخار الدولة من تعاون جيرار مقدم المستشفى الأمالفى مع الصليبيين المهاجمين، ومن ثم ألقاه في السجن حتى أطلق سراحه الصليبيون بعد استيلائهم على القدس وسفك دماء أكثر من ثلاثين ألفًا من سكان المدينة، من مختلف الديانات والأعراق بشهادة مؤرخي الحملة الصليبية الأولى. وباستيلاء الصليبيين على القدس وتأسيس مملكة بيت المقدس الصليبية لقيت هيئة الاسبتارية إقبال الكثير من المشاركين في الحملة والوافدين إلى المملكة، كما تمتعت برعاية جودفري دي بويون

Godefroi de Bouillon أول حكام المملكة الذي أغدق على المستشفى الهبات. وبالرغم من البداية المتواضعة للمستشفى إلا أن أعمالها اتسعت في ظل رعاية ملوك الصليبيين الأوائل لها وتدفق المعونات من أوربا حتى صارت في منتصف القرن الثاني عشر تستقبل ألفين من المرضى في وقت واحد.

وهكذا برز دور الهيئة منذ وقت مبكر من تاريخ التواجد الصليبي في الساحل الشامي وتدريجيا اتسع دورها في علاج أعداد غفيرة من جرحى الحرب التي لم تنقطع بين المسلمين والصليبيين، واتساع هذا الدور جذب الكثير من المتطوعين ولفت نظر البابوية في روما، ونتيجة للدور الكبير للهيئة اعترفت بها البابوية عام ١١١٣م ووضعتها بشكل مباشر تحت رعاية بابا روما، كما اعترفت بما حصلت عليه من منح وأملاك في الساحل الشامي وأوربا على حد سواء، بجانب إعفاء ممتلكات الهيئة من العشور الكنسية وجمع بعض هذه العشور لصالح الهيئة، بجانب اختيار مقدم الهيئة بالانتخاب ناهيك عن إنزال العقوبات الكنسية بالمعتدين على أملاك الهيئة.

علاج الجرحى في مستشفيات الاسبتارية نقلا عن

Divid Nicole, Knight Hospitallier, Oxford, ٢٠٠١



تحول الاسبتارية إلي هيئة عسكرية :

أما بخصوص اتجاه الهيئة إلى النشاط الحربي فقد تم ذلك لسببين؛

أولهما: أن الفرسان الجدد الذين انضموا إلى الهيئة لم يقنعوا بحياة الرهبنة وحدها كما ارتضى مؤسسو الهيئة الأوائل؛ ذلك أن الإخوة الجدد تطلعوا إلي حياة الفروسية بما يتناسب مع أصولهم الإقطاعية.

السبب الثاني لهذا الاتجاه الحربي يرجع إلى أن هيئة الداوية نالت رضا البابوية بسبب طبيعتها الحربية منذ بدايتها وهو ما جعل الاسبتارية تبذل قصارى جهدها للوصول إلى هذه المكانة، والحصول على كثير من الامتيازات والصلاحيات.

ومن هنا تحولت الهيئة بصورة تدريجية من مجرد النشاط الطبي الخيري إلي هيئة ذات طابع عسكري وذلك بشكل تدريجي غير ملحوظ، وبالتالي لم تحدد المصادر تاريخ تحول هيئة فرسان القديس يوحنا أو الإسبتارية من الطابع الطبي إلي الطابع العسكري، لكن على أية حال كان ذلك قبل عام ١١٢٦ م، ذلك أن في ذلك التاريخ ظهر لفظ الكندسطابل Constable في إحدى وثائق الهيئة وهو لقب عسكري.

والحقيقة أن تحول الهيئة إلي الطابع العسكري جاء في ظل التحديات الكبيرة التي واجهت مملكة بيت المقدس الصليبية في أول عهدها في ظل وجود الصليبيين في محيط إسلامي رافض لوجودهم باعتبارهم مغتصبين لبقاع عزيزة من بلاد المسلمين وهي فلسطين، بجانب قلة عدد الصليبيين بشكل عام سواء المدنيين أو العسكريين؛ وهو ما أدى إلي وقوع عدد من قادتهم في أسر المسلمين، منذ وقت مبكر مثل: جوسلين كورتيناي **Joscelin of Courtenay** حاكم الرها عام ١١٢٢م، وبلدوين الثاني**Baldwin II** ملك بيت المقدس نفسها عام ١١٢٣م .

وبالطبع جاء تحول الهيئة من الطابع الطبي الصرف إلى الطابع العسكري استجابة لهذا التحدي. حتى إذا توفي بلدوين الثاني عام ١١٣١م خلفه صهره فولك أنجو **Fulk of Anjou** بدأنا نسمع عن دور عسكري لهيئة الفرسان الاسبتارية.

النظام الأساسي للهيئة:

خضعت هيئة الاسبتارية منذ البداية للنظام الديري البندكتي الذي اتسم بالنظام والتعاون في العمل والعبادة، وهو ما أثر على النظام الأساسي للجماعة الذي تكون من تسعة عشر بنداً تقوم كلها على محاور ثلاثة هي (العفة – الطاعة – الفقر)، وضمنت البنود التسعة عشر نظاماً صارماً لأعضاء الجماعة في الطعام والملابس والصلاة والعقوبات التي تطبق على المخالفين لدستور الجماعة بجانب نظام استقبال المرضى وانضمام أعضاء جدد من العلمانيين إلي الهيئة.

وقد انقسم أعضاء الهيئة إلى أقسام ثلاثة:

- القسم الأول هم الفرسان **Knights** ووظيفتهم حربية بالأساس.
- أما القسم الثاني فهم المساعدون **Sergents** وظيفتهم خدمة الفرسان وتقديم الخدمات للمرضى.
- أما القسم الثالث فهم الوعاظ **Chapelains** وهم المسئولون عن الخدمات الدينية. والمنضمون إلى الأقسام الثلاثة لابد من توافر العديد من الشروط فيهم، من بينها أن يكون العضو سليل زواج شرعي، وحظر أن ينضم إلى الهيئة عضو ذو أصول يهودية أو إسلامية حتى لو كان آباؤهم أمراء أو كونتات، كما حظر انضمام من سبق له الزواج أو كان والداه من سيئي السمعة، كما تحتم أن يكون العضو في تمام العافية خاليًا من الأمراض، وذا طبائع وعادت حسنة.

الهيكل التنظيمي للهيئة:

أما عن الهيكل التنظيمي للهيئة فيقف على رأسه المقدم **Master** وبالرغم من سلطته الكبيرة إلا أنه كان مقيداً بما يمليه عليه المجمع العام الذي تألف من جميع أعضاء الهيئة المقيمين في المقر المركزي، وله الحق في إصدار التشريعات والأوامر النظامية. ويلي المقدم في السلم الإداري المارشال (المشير) **Marchal** والذي كان مكلفاً بالأعمال الحربية وتوفير حاجة الفرسان من الجياد والسلاح .

أما الاسبتاري **Hospitaller** أو الممرض فقد كان مسئولا عن توفير الأدوية وحاجت رعاية المرضى ويخضع له جميع أطباء المشفى. أما القماش **Drapier** فقد كان مسئولا عن توفير الملابس والأردية التي تحتاج إليها الهيئة.

كما وجدت وظيفة أمين الخزينة وهو المسئول المالي للهيئة، بجانب وظيفة أمير البحر أو قائد الأسطول والتي ظهرت في القرن الثالث عشر حين صار للهيئة أسطول بحري. كما وجدت وظيفة التركبولي **Turcopolier** الذي كان مسئولاً عن الخيالة الخفيفة.

تخيل لمجمع الاسبتارية نقلا عن

Divid Nicole, Knight Hospitallier, Oxford, ٢٠٠١



ملابس الهيئة:

اشترط في ملابس الهيئة التواضع والرخص، إذ ينص القانون الخاص بالهيئة على: "يجب أن يكون ملبس الأخوة متواضعاً، لأننا خدام المسيح الذي كان فقيراً وعلينا أن نتعرى لنرتدي لباس البؤس والشقاء، فعيب على الخادم أن يكون متباهياً وسيده متواضعاً" كما حرم عليهم ارتداء الأقمشة ذات الألوان الزاهية أو القطيفة أو فراء الحيوانات.

وكان الزي الرسمي للجماعة عبارة عن عباءة سوداء مشقوقة من على الذراعين بغية حرية اليدين، ومعطف من نفس اللون وقلنسوة وصليب من الكتان الأبيض ذي أطراف ثمانية كان مطرزاً على صدر الرداء من الجهة اليسرى.

وبصورة تدريجية تطورت ملابس الاسبتارية حتى يميز بين طبقات أعضاء الجماعة كما تعرضت ملابس الفرسان عام ١٢٤٨م للتطوير بحيث تتسع لتعطى الفارس قدراً أكبر من حرية الحركة أثناء العمليات الحربية.

كما قرر البابا اسكندر الرابع (١٢٥٤-١٢٦١م) أن ينال الفرسان مزيدًا من التمييز في زيهم فأمر أن يرتدى الفرسان أثناء العمليات الحربية الجيبات **Jupons** ذات اللون الأحمر مطرزًا عليها صليب أبيض مطابق لشعار الجماعة.

المسكن والطعام:

كانت هيئة الفرسان الاسبتارية هيئة عسكرية تقوم بخدمات طبية ومن ثم سكن أعضاء الهيئة في مقرات تتناسب مع مهام الجماعة وبالتالي منهم من أقام في القلاع أو الحصون حياة عسكرية صرفة يقومون بالإغارة على أراضي المسلمين من آن لآخر ويحصنون بها من أجل القيام بواجباتهم العسكرية، بينما أقام الآخرون في المستشفى للعناية بالمرضى وتقديم الطعام والدواء لهم بجانب القيام بواجبات الضيافة للزوار والحجاج الذين أووا إلي نزل الجماعة.

أما فيما يتعلق بالطعام فقد حدد بوجبتين في اليوم، ولا يحتوى طعامهم أي لحوم في اليوم الرابع وفي يوم السبت باستثناء من هم مرضى أو من أصابهم الوهن، كما قدمت كميات إضافية من اللحم كمكافأة لمن قام بعمل أفضل، كما صدرت التعليمات بالصمت أثناء الطعام.

وقد كان الطعام يتم بصورة جماعية إلا أنه سمح للمقدم وكبار موظفي الهيئة بتناول الطعام في حجراهم.

بعض من فرسان الاسبتارية في كامل ملابسهم عن

Divid Nicole, Knight Hospitallier,

Oxford, ٢٠٠١



الدور العسكري للجماعة في الحروب الصليبية:

كما ذكرنا تحولت هيئة الفرسان الاسبتارية إلي الطابع الحربي بصورة تدريجية، ومن ثم اصطحبهم معه ملك بيت المقدس في حملاته العسكرية، فقد شاركوا في رد الهجوم الإسلامي عن أنطاكية عام ١١١٩م والذي عد المشاركة الأولى للإسبتارية في حماية المستعمرات الصليبية في الساحل الشامي، كما شاركوا في حصار مدينة صور عام ١١٢٤م.

ومع مرور الوقت زادت ثقة العرش الصليبي في مملكة بيت المقدس بهيئة فرسان القديس يوحنا وظهر ذلك واضحا في عهد فولك أنجو الذي لمس القدرات القتالية العالية لهؤلاء الفرسان ومن ثم قرر إسناد بعض الوظائف إليهم ومنها مهمة الدفاع عن بعض القلاع الحدودية مثل قلعة بيت جبرين شرق مدينة عسقلان، وهو ما جعل فرسان الجماعة في مواجهة شبه مستمرة مع القوات المصرية الفاطمية المرابطة في عسقلان، كما حرص كونت طرابلس ريموند الثاني على الاستفادة من قوة الإسبتارية حين تنازل لهم عن قلاع حصن الأكراد والبقيعة ورفنية وبعرين ليقوموا بحمايتها، وقد عرضتهم هذه المنحة لمواجهات عسكرية شديدة الوطأة مع المسلمين الذين حرصوا على مواصلة الهجوم على حدود إمارة طرابلس.

وحين قدمت الحملة الصليبية الثانية عام ١١٤٨م ظهر الاسبتارية بوضوح في مجلس الحرب الذي عقد في عكا، ومثلهم فيه مقدم الجماعة ريموند دي بوي وقد برز في الاجتماع صوت المقدم الذي بدا من نصائحه أنه عسكري متمرس، وعقب فشل الحملة حاولت المصادر الصليبية إيجاد سبب لهذا الفشل، واتهمت عددًا من القيادات الصليبية بتلقي أموال من المسلمين، ومن بينهم مقدم الإسبتارية، وإن لم تستطع أن تؤكد ذلك.

ومهما يكن من أمر فلم تستطع المملكة التخلي عن عون الهيئة، ومن ثم شارك الإسبتارية في حملات الملك بلدوين الثالث العسكرية، ومن بينها حصار عسقلان عام ١١٥٣م وكان قلعة بيت جربين من أهم مصادر الإمدادات للصليبيين في هذا الحصار، وقد كان لمقدم الإسبتارية دور كبير في التوجيهات الحربية التي قبلها الملك وأسفرت عن سقوط المدينة التي طالما سببت إزعاجا كبيراً للصليبيين.

وقد أدرك المسلمون بقيادة نور الدين محمود خطورة هذه الهيئة ومن ثم حرصوا على الإيقاع بأفرادها وكسر شوكتهم، ومن بين هذه الجهود تمكن قوة تابعة لنور الدين محمود عام ١١٥٧م من سحق قوة إسبتارية قوامها سبعمائة من مختلف الرتب، وهو ما مثل نكبة كبيرة للإسبتارية. وظل الإسبتارية يشاركون بفعالية واضحة في إدارة الصراع الإسلامي الصليبي حتى حطين عام ١١٨٧م؛ حيث شاركوا في مجلس الحرب للاستعداد للمعركة، كما شارك مقدم الإسبتارية روجر دي مولين في المصالحة بين قادة الصليبيين المتنازعين قبيل العركة.

ومع اشتعال المعركة برز دور الاسبتارية، غير أن خطة صلاح الدين لإدارة المعركة كفلت النصر للمسلمين في النهاية مما أسفر عن سحق الجيش الصليبي وبالطبع من فيه من الفرسان الاسبتارية، الذين قتل عدد كبير منهم ومن بقي على قيد الحياة أمر صلاح الدين بقتلهم على الفور لعلمه بخطورة هؤلاء الفرسان وتعصبهم الأعمى، حتى أن العماد الأصفهاني وصف الداوية والاسبتارية بقوله "طهر الأرض من الجنسين النجسين" بل أعلن صلاح الدين أن كل من يحضر أسيراً إسبتاريًا أو داويًا مكافأته خمسون ديناراً، وهو مبلغ ضخم بعيار هذا العصر.

ومهما يكن من أمر فقد شارك فرسان الاسبتارية في الدفاع عن صور حين حاصرها صلاح الدين وتفانوا في الدفاع عنها حتى اضطر صلاح الدين لفك الحصار، كما لعبوا دورا كبيراً في إحداث الحملة الصليبية الثالثة.

وبالرغم من آثار حطين الكارثية إلا أن الحملة الصليبية الثالثة أدت إلي استيلاء الصليبيين على شريط ساحلي ضيق هو كل ما بقي للصليبيين في بلاد الشام ولولا صراعات وخلافات المسلمين لما صمد هذا الشريط حتى عام ١٢٩٠م. لكن على أية حال أدرك الصليبيون أن مصر هي قلب المقاومة ومن هنا صارت مصر هدفا للصليبيين في الغرب، ونالها بشكل مباشر حملتان هما الخامسة بقيادة حنا دي بريين، والتي انتهت بحصار الصليبيين في أوحال دلتا النيل، وفي هذه الحملة شارك الإسبتارية بدور كبير،

ونتيجة مواقفهم سلك المندوب البابوي بلا جيوش موقفًا متشددًا في التعامل مع الملك الصليبي، ورفض عروض الصلح من الملك الكامل، ومن ثم انتهت الحملة بحصارها في أوحال الدلتا عام ١٢٢١م.

أما الحملة الصليبية السابعة ١٢٤٨–١٢٥٠م –بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا– فقد شارك فيها الإسبتارية بنحو خمسمائة فارس وخمسمائة من التركبولية ودائما كانوا في صدارة القوات الصليبية عند الهجوم على المسلمين، وقدموا للكونت أرتوا نصائح هامة عند الهجوم على المنصورة غير أن عدم الاستماع إليها قاد الحملة إلي الفشل ووقوع الجميع في الأسر فبما فيهم ملك فرنسا لويس التاسع.

وقد أخذت قوة الصليبيين في الشام تتراجع بعد فشل حملة لويس في ظل سياسة التصفية التي قادها المماليك في عهود الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والأشرف خليل بن قلاوون، خلال هذه الفترة برز دور الإسبتارية وباقي التنظيمات الدينية لتلعب دوراً كبيرا في ظل تدهور القوة العسكرية في مملكة بيت المقدس وأنطاكية وطرابلس، وبالرغم من أن الحصول على هذه الأملاك عد عبئا على الهيئة إلا أن الهيئة لم تتردد في حيازتها أملا في الدعم الأوربي الذي يزيد من سطوتهم في الشرق، وهو ما جعل القادة الصليبيين العجزيين يتنازلون عن أملاكهم لهذه الهيئات لتدافع عنها أملا في إنقاذها من سيوف المماليك، ومن أمثلة ذلك تنازل باليان ابلين عن إقطاعه في أرسوف لهيئة الإسبتارية عام ١٢٦١م، بعد أن عجز عن الدفاع عنها، غير أن الظاهر بيبرس لم يجعلهم يهنئون بها طويلا إذ استولى عليها عام ١٢٦٥م.

والحقيقة أن الهيئة قد تراكم لديها ثروات هائلة جعلتها من أغنى القوى في الساحل الشامي في القرن الثالث عشر الميلادي وقد تسبب الحفاظ على تلك الثروة في الإضرار بمصالح الصليبيين في الساحل الشامي، ومن أمثلة ذلك رفضهم تسليم أسرى المسلمين للظاهر بيبرس عام ١٢٦١م بحجة أنهم أيدي عاملة ماهرة تعمل في مصانع الهيئة في المدن الصليبية وهو ما أدى إلى فشل مفاوضات الهدنة بين بيبرس والصليبيين.

ومهما يكن من أمر فقد بذل الاسبتارية جهودا كبيرة في محاولة تقدم الزحف المملوكي لكن دون جدوى، ومن ثم أخذوا يفقدون أملاكهم بصورة تدريجية فقد فقدوا قلعة كوكب في منطقة الجليل عام ١٢٦٣م، كما فقدوا حصن الأكراد – الذي عجز صلاح الدين عن فتحه غير أن بيبرس لم يألُ جهداً حتى أتم فتحه عام ١٢٧١م، وأيضاً حصن المرقب استرده المنصور قلاوون عام ١٢٨٥م بعد معارك عنيفة.

وكان سقوط قلعة المرقب علامة على قرب نهاية الصليبيين في الساحل الشامي ومعهم الاسبتارية بالطبع، كما قاوموا المنصور قلاوون بشدة حين حاصر طرابلس عام ١٢٨٩م غير أن قوتهم سحقت وخرجوا منها صاغرين، وقد استغاث مقدم الاسبتارية حنا دي فيليه بالغرب عقب فتح طرابلس لكن لم تجد استغاثته صدى في ظل ما عانته أوربا من صراعات وحروب بينية في تلك الفترة ومن ثم أرسل البابا نيقولا الرابع نفايات المجتمع الأوربي لتدافع عن عكا آخر معاقل الصليبيين القوية في الساحل الشامي فلم يفعلوا شيئا سوى التسبب في نقض الهدنة مع المماليك مما قدم مبررا قويا للأشرف خليل ليحاصر عكا، وفي الحصار الأخير دافع الاسبتارية ببسالة دون جدوى فقتل جلهم وفي مقدمة من مات في هذا الحصار مارشال الجماعة متى الكليرمونى أما المقدم فقد حمل جريحا في سفينة إلي قبرص.

وبذلك انتهى دور الاسبتارية في الساحل الشامي غير أن بقاياهم لم تنته وما زالت موجودة إلي اليوم.

الفرار من عكا عن

Divid Nicole, Knight Hospitallier, Oxford, ٢٠٠١



الملاحق

ملحق رقم (١)

خطاب من يوحنا الفاليري مقدم الفرسان الاسبتارية يصف فيه فتح المماليك لعكا ١٢٩١م

إلي الأخ يوحنا الفاليري الخادم المطيع بنعمة الرب، من بيت اسبتار القديس يوحنا بالقدس، وحارس باب المسيح، إلى أخيه العزيز السيد وليم الفاليري، العضو في أخوية البيت السابق ذكره، ورئيس دير جيلس في بروفانس، تحية مباركة باسم الله، تحية باسم من لا يخيب رجاء من يضع ثقتهم فيه، والذي يرسل إليهم برحمته من أعالي السموات بعد الضيق والكرب.

أخي، لأننا نعرف أنك لصداقتك الودودة كنت تسعد دائماً بمعرفة أخبارنا، تسعد لأفراحنا وتحزن لأحزاننا. وبعد هذه المقدمة المفعمة بالحسرة والدموع وعظيم الحزن، نعلمك بالكارثة التي حاقت بعكا الجميلة، واحسرتاه، وما أشد حزني عليها، باختصار وبكلمات قليلة فإننا نقر بهذا، لأننا نعرف جيداً بأن هناك أفراداً عدة يأتون من جهتكم، والذين كانوا حاضرين معنا، والذين من الممكن أن تسألهم لدى عودهم عن كل التفاصيل.

لتعلم بعد هذا يا صديقي العزيز أننا نخبرك بما جرى، ففي اليوم الأول من إبريل الماضي منذ وقت قريب. قام سلطان مصر بمحاصرة مدينة عكا من جميع الجهات، فيما عدا جهة البحر، فيما بين شروق الشمس والضحى، بجميع قواته خيالة ورجالة، ومن جاء من جهة الشرق حتى الفرات، مع حشوده وآلاته، ونصب معسكراً عظيماً أمام المدينة.

ومنذ اليوم الأول الذي جاءوا فيه وحتى يوم الاثنين لم يبسطوا سيادتهم علي الأرض، ووزعت بعض آلاتهم وبعض دفاعاتهم، بعضها من أجل الخنادق، وبعضها من أجل الأسوار والبعض لإنجاز أعمال أخرى، ثم نصبوا آلاتهم حول الأسوار ضدنا، فقمنا نحن وجميع المسيحيين الصالحين في المدينة بالاستعداد للتصدي لهم. وجندنا أنفسنا بالكامل، ووضعنا في حالة تأهب جميع آلاتنا ومعداتنا المعدة لحماية المدينة والدفاع عنها.

وفي النهاية وبعد عدة هجمات، ودفاع مستميت والعديد من الهجمات المفاجئة لنا عليهم ومنهم علينا، وبعد نزيف عظيم من الدماء من جانبنا ومن جانبهم.

وحين عانى جانبنا من الجراح والإصابات، دخلوا المدينة من بوابة تسمى بوابة الملك هيو في الثامن عشر من مايو الماضي منذ وقت قريب، بعد أن نقبوا وهدموا الأسوار من عدة جهات بآلاتهم التي تسمى **Corobonares**.

وفي الصباح دخلوا المدينة من كل الجهات في جموع عظيمة، وتصدينا نحن لهم عند بوابة القديس أنتوني حيث وجد العدد من المسلمين، الذين لا يمكن إحصاؤهم، ومع أننا دفعناهم للخلف ثلاث مرات حتى موقع يعرف بمالديس، وأثناء ذلك القتال الذي كان فيه إخوة لنا في الدين يدافعون عن المدينة، وعن حياتهم وبلدهم، فقدنا شيئا فشيئا دير عقيدتنا الذي جاءت نهايته وهو ملك الكنيسة المقدسة.

ومن بين من فقدناهم صديقنا العزيز الأخ متي الكليرموني مارشالنا، الذي اتصف بالبطولة والبراعة في القتال، تغمده الرب برحمته، وفي نفس اليوم قتل مقدم الداوية على إثر طعنة رمح طيب الله ثراه.

ونحن أنفسنا قد أُصبنا في ذلك اليوم، وأشرفنا علي الموت بطعنة رمح من بين مخبئنا؛ وهو ما جعل عملية كتابة هذا الخطاب جد عسيرة، وفي ذلك اليوم تدفق جمع عظيم من المسلمين إلي المدينة، من جميع الجهات، من البر والبحر، يتسلقون الأسوار، التي ثقبت وانهار معظمها، وانتشروا في الشوارع حتى وصلوا إلي مقرنا، في ذلك الوقت، بدأ سر جنديتنا وحراسنا الخاص وجنودنا المأجورون والصليبيون، وآخرون ييأسون تماماً، وأسرعوا نحو السفن تاركين أسلحتهم ودروعهم، وقد قاومنا نحن وإخواننا قدر المستطاع، الذين أصيب معظمهم إصابات مؤلمة وجرحوا جروحاً مميتة، والرب يعلم ذلك، ولأن البعض منا كان راقداً بين الحياة والموت لا حيلة له أمام أعدائنا، وقام رقبائنا وخدمنا الخاص بحملنا، وجراحنا تكاد تذهب بحياتنا، مع إخوان آخرين لنا، يحدق بحياتهم خطر عظيم، ولذلك هربنا مع بعض إخواننا لأن تلك مشيئة الرب، الذين جرح عدد كبير منهم دون رجاء في الشفاء ونحن أنفسنا نقلنا إلي جزيرة قبرص.

ومكثنا هناك حتى تاريخ كتابة هذا الخطاب الذي كتب من قلب يعتصره الحزن والأسى.

ملحق (٢)

قائمة بمقدمي الهيئة أثناء التواجد في بلاد الشام

١- جيرار (**Gerard**) (١١١٣- ١١١٩م).

٢- ريموند دي بوي (**Raymond du Py**) (١١٢٥-١١٥٧م).

٣- أوجر بالبين (**Auger de balben**) (١١٦٠-١١٦٢).

٤- ارنولد دي كومب (**Arnold de Comp**) (١١٦٢).

٥- جيلبرت دي أسيلي (**Gilbert d'Assailly**) (١١٦٣-١١٧٠)

٦- كاسته دي مورو (**Caste de Murols**) (١١٧٠-١١٧٢)

٧- جوبرت (**Jouber**)(١١٧٣-١١٧٧).

٨- روجر دي مولين (**Roger of Les Moulins**) (١١٧٧- ١١٨٧)

٩- ارمنجو دي اسب (**Armengarde of Aspe**) (١١٨٨-١١٩٠)

١٠- جارنيير دي نابلس (**Warner of Nablus**) (١١٩٠-١١٩٢)

١١- جيوفري دونجون (**Geoffrey de Donjon**) (١١٩٣-١٢٠١)

١٢- الفونس البرتغالي (**Afonso of Portug**) (١٢٠١-١٢٠٦)

١٣- جيفري لوراث (**Geoffrey Le Rat**) (١٢٠٦-١٢٠٧)

١٤- جارين مونتاجو (Garin of Montaigu) (١٢٠٧–١٢٢٧)

١٥- بارتراند دي ثيسي (Bernard of Thercy) (١٢٢٨–١٢٣٠)

١٦- جورين (Guerin) (١٢٣١–١٢٣٦)

١٧- برتراند دي كومب (Bertrand of Comps) (١٢٣–١٢٤٠)

١٨- بطرس دي فيلبراند (Peter of Viellebride) (١٢٤٠–١٢٤١)

١٩- وليم شاتينوف (William of Chateauneuf) (١٢٤٣–١٢٥٨)

٢٠- هيو ريفيل (Hugh Reve) (١٢٥٨–١٢٧٦)

٢١- نيقولا لورجين Nicholas Lorgne (١٢٧٧–١٢٨٣)

٢٢- يوحنا فيليه John of Villiers (١٢٨٥–١٢٩٣)

ملحق رقم (٣)

دليل للقراءة عن الفرسان الاسبتارية

بحكم أهمية هيئة الفرسان الاسبتارية بسبب دورها الكبير في الحروب الصليبية، بجانب حركة إحيائها في العصر الحديث فقد حظيت بكتابات كثيرة في أوربا منها ما اهتم بجمع وثائق الهيئة مثل

- **Le Eoulx JD (ed), Cartulaire General de l'Ordre des Hospitaliers St. Jean de Jerusalem, ٤ Tomes (١١٠٠-١٣١٠), Paris, ١٨٩٤-١٩١٦**

ومنها ما درس التاريخ العام للهيئة لها مثل:

- **Bronstein, Judith, The Hospitallers and the Holy Land: Financing the Latin East, ١١٨٧–١٢٧٤ (Woodbridge, UK: Boydell, ٢٠٠٥).**
- **Delaville Le Roulx, Joseph, Les Hospitaliers a Rhodes (١٣١٠–١٤٢١) (Paris: Leroux, ١٩١٣).**
- **Failler, Albert, "L'Occupation de Rhodes par les Hospitaliers, "Revue des etudes byzantines ٥٠ (١٩٩٢), ١١٣ – ١٣٥.**

- **Forey, Alan J., Military Orders and Crusades (Aldershot, UK: Variorum, ١٩٩٤).**
- **Hiestand, Rudolf, Papsturkunden fur Templer und Johanniter (Gottingen: Vandenhoeck & Ruprecht, ١٩٧٢).**
- **King, E. J., The Rule, Statutes and Customs of the Hospitallers, ١٠٩٩–١٣١٠ (New York: AMS, ١٩٨٠).**
- **Luttrell, Anthony, Latin Greece, the Hospitallers and the Crusades, ١٢٩١–١٤٤٠ (London: Variorum, ١٩٨٢).**
- **———, The Hospitallers of Rhodes and their Mediterranean World (London: Variorum, ١٩٩٢).**
- **———, The Hospitaller State on Rhodes and Its Western Provinces, ١٣٠٦–١٤٦٢ (Aldershot, UK: Ashgate, ١٩٩٩).**
- **Nicholson, Helen, The Knights Hospitaller (Woodbridge, UK: Boydell, ٢٠٠١).**
- **Riley-Smith, Jonathan, The Knights of St. John in Jerusalem and Cyprus, c. ١٠٥٠–١٣١٠ (London: Macmillan, ١٩٦٧).**

وقد ترجم إلي اللغة العربية عام ١٩٨٤
جوناثان رايلي سميث، الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص ١٠٥٠-١٣١٠، ترجمة العميد الركن صبحي الجابي، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، ١٩٨٤.

- ———, Hospitallers: The History of the Order of St. John(London: Hambledon, ١٩٩٩).
- Sainty, Guy Stair, The Orders of Saint John (New York: American Society of the Most Venerable Order of the Hospital of Saint John in Jerusalem, ١٩٩١).
- Setton, Kenneth, The Papacy and the Levant (١٢٠٤–١٥٧١), ٤vols. (Philadelphia: American Philosophical Society, ١٩٧٦).
  - Sire, H. J. A., The Knights of Malta (New Haven: Yale, ١٩٩٤).
- Vatin Nicolas, Rhodes et l' ordre de Saint-Jean-de-Jerusalem (Paris: CNRS, ٢٠٠٠).
- Vertot, Abbe de, The History of the Knights of Malta (London: Strahan, ١٧٢٧. Reprinted Valletta: Midsea, ١٩٨٩).

وهناك أيضا دراسات صدرت باللغة العربية منها ما اختص بالهيئة دون غيرها ويتمثل في:

- مصطفى الحناوي (دكتور)، الفرسان الاسبتارية ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٤م.

وهناك من منحها فصلا في كتابه مثل:

- نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٩٤م.
- محمد مؤنس عوض (دكتور)، تاريخ الحروب الصليبية التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية ٦،٧ هـ / ١٢،١٣م، دار الشروق رام الله، ٢٠٠٤.

الفصل الثاني

هيئة الفرسان الداوية The Knights Templar

هيئة الفرسان الداوية

The Knights Templar

تحدثنا في الفصل السابق عن هيئة الفرسان الاسبتارية، وعرفنا مقدار ما أسهموا به في إدارة الصراع الإسلامي الصليبي، وفي هذا الفصل نلقي الضوء على هيئة أخري لم تقل خطورة عن الهيئة الأولى وهي هيئة الفرسان الداوية، تلك الهيئة التي جعلها قادة المسلمين في بؤرة اهتمامهم بسبب شراستهم ودمويتهم وتطرفهم.

تأسيس الهيئة:

ظهرت هيئة الفرسان الداوية عام ١١١٨م، وذلك استجابة لتحد عانى الصليبيون منه بعد استقرارهم في الساحل الشامي، هذا التحدي هو نقص القوة المدافعة عن مملكة بيت المقدس الصليبية، وهو ما أدى إلي فقدان الأمن على الطرق داخل المملكة وخاصة طريق الحجاج المسيحيين من الساحل الشامي إلي القدس، وهو ما أفسح المجال لجماعات المقاومة الشعبية للإيقاع بهؤلاء الحجاج ونهب ما يحملون وقتل من يمكنهم قتله.

ومن الجدير بالذكر أن جماعات المقاومة في ذلك الوقت كان من العسير عليها التمييز بين الحاج القادم لزيارة المناطق المقدسة وبين المقاتل القادم لمساندة الكيان الصليبي، خاصة أن الصليبيين أنفسهم اعتبروا أن حملتهم الصليبية هي رحلة حج لكن حج مسلح.

ومهما يكن من أمر فنتيجة لتعرض الحجاج لأعمال المقاومة وخاصة طريق يافا القدس، فقد اتفق تسعة من الفرسان الفرنسيين المتحمسين على أن يكرسوا أنفسهم للعمل على حماية الحجاج، وكان على رأس هؤلاء الفرسان:

هيو دي بايتر **Hugh de Payens** وجود فري دي سانت أومير **Godfery de st. Omer** .

وعرض هؤلاء الفرسان الفكرة على جورموند **Gaurimond** بطريرك بيت المقدس الكاثوليكي، فرحب بالأمر أيما ترحيب لما يكفله نشاط هؤلاء الفرسان من حماية للحجاج. ومن هنا عرض البطريرك الأمر على ملك بيت المقدس بلدوين الثاني الذي سعد بالأمر أيما سعادة، خاصة أن هذه الهيئة تساعد في حرب المسلمين وحماية طرق الحجاج وحماية معبد سليمان (المسجد الأقصى)، وهو ما مهد لتأسيس أكبر هيئة دينية عسكرية صليبية في الشرق والتي حملت اسم فرسان المعبد أو الفرسان الداوية.

وتشجيعاً من الملك بلدوين للفرسان منحهم جزءاً من قصره لإقامتهم، وجزءًا آخر لأداء شعائرهم الدينية، وكان هذا القصر هو المسجد الأقصى الشريف الذي اعتقد الصليبيون أنه هيكل سليمان، فسموه Palais de Salomen، أو Templum Solomonis، وهو المبنى الواقع جنوب قبة الصخرة الشريفة Dome of the Rock ذلك المكان الذي أزهق فيها الصليبيون أرواح آلاف المسلمين عام ١٠٩٩م حين اجتاحوا مدينة بيت المقدس.

ومن الجدير بالذكر أن الداوية حصلت على الدعم الكبير في مجمع تروي عام ١١٣٨م حيث حصلوا على دعم برنارد الكليرفوري San Bernard de Clairvaux، الذي توسط لدى البابا هونوريوس الثاني الذي اعترف رسميا بالهيئة في مجمع تروي الذي انعقد في فرنسا عام ١١٢٨م والتزمت الهيئة لإتباع نظام الرهبان السسترشيان.

اتساع أملاك الهيئة:

في بداية تكوين الهيئة تشدد المسئولون عنها في شروط الانضمام إليها وكان أهم هذه الشروط أن يكون العضو المتقدم فرنسياً، ومن طائفة الفرسان، ومن هنا ظل عدد الفرسان الداوية قليلاً في البداية حتى أنه حين انعقد مجمع تروي لم يزد عدد الفرسان الداوية عن تسعة أشخاص.

وبالرغم من المؤسسين الأصليين كانوا مدفوعين أولاً بالرغبة الخيرية في حماية الحجاج في الطريق من يافا إلى القدس، مما منح التنظيمات الشعبية التي كانت كافية لجمع الموارد من أوربا لتمويل نشاط الهيئة فيما وراء البحار. هذا النشاط شمل حراسة القلاع، وتوفير القواتل لجيوش الفرنجية،

وتوفير الدعم العسكري واللوجستى للزوار الصليبيين. وبحلول نهاية ١١٣٠ حصل الداوية على مسئولية الدفاع عن قلعة بغراسفيجبالا لأمانوس شمال أنطاكية.

وفي مملكة بيت المقدس حصلوا على قلعة تورون في الطريق بين رام الله والقدس، في ١١٤٠ وحصلوا على غزة في الجنوب بحلول عام ١١٤٩ أو ١١٥٠.

وبحلول عام ١١٦٠ بالتعاون مع الاسبتارية الذي تزايد دورهم أصبحوا جزءًا تكميليًا في الدفاع عما وراء البحار موفرين قوة تبلغ ٦٠٠ جندي و ٢٠٠٠ رقيب.

من احتفالات الفرسان الداوية بقبول أخوة جدد عن

Hellen Nicloson, Knight Templar, Oxford, ٢٠٠٤



وفي فترات مختلفة حصلوا على مسئولية الدفاع عن خمسين حصنًا وقلعة وأماكن حصينة، متراوحة بين الإمدادات البسيطة إلى توفير المأوى للحجاج في الطريق بين يافا والقدس، وبين القدس ونهر الأردن.

وبالإضافة إلى مسئوليتهم في الشمال والجنوب، منح الداوية حقوقًا واسعة في إقليم طرابلس بما فيها جزء كبير من مدينة طرطوس الساحلية وقلعة صافيتا الداخلية.

وفي القرن الثالث عشر زادت ثروة الهيئة بالتوازي مع تراجع قوة الملوك والأرستقراطية العلمانية، مما زاد من أهميتهم.

وقد تجلت قوتهم بشكل أساسي في قلعتي: عثليث التي بنيت بين عامي ١٢١٧ و ١٢٢١ على الطريق بين حيفا وقيسارية، والثاني صافيتا التي أعيد تشييدها بشكل جديد عام ١٢٣٤، في المنطقة الداخلية واقعة على قمة بركانية ارتفاعها ٨٠٠ م فوق الجليل مطلة على طريق عكا دمشق.

وفي ظل اتساع أملاك الهيئة وزيادة مواردها نما دور الداوية كمصرفيين، واشتهروا في الشرق والغرب على حد سواء وطوروا نظاما مصرفيا سمح بإيداع الأموال في أي مقر تابع للداوية والحصول على أوراق ائتمانية يمكن صرفها من أي مقر آخر تابع لهم، وقد استغلوا الحصون التابعة لهم في حفظ هذه الأموال.

وقد مكنهم هذا النظام من القيام بالأعمال المصرفية خاصة منح القروض ومن بينها قرض ضخم للملك الفرنسي لويس السابع (١١٣٧-١١٨٠م). حين فشلت الحملة الصليبية السابعة عام ١٢٥٠م، وأسر لويس التاسع على يد المماليك في مصر لم يجد من يلجأ إليهم ليمنحه قرضًا لدفع فدية إطلاقه سوى الداوية، الذين لم يفعلوا ذلك عن طيب خاطر.

الهيكل التنظيمي للهيئة

تكون الهيكل التنظيمي للهيئة كالتالي:

المقدم الأعلى: كان الحاكم المطلق للهيئة طبقا للقرار البابوي الصادر عام ١١٣٩م ولا يسأل سوى أمام البابا، وكان اختياره يتم من قبل هيئة مكونة من ثلاثة عشر عضواً من الداوية منهم ثمانية فرسان وأربعة من الرقباء وقسيس. وكان شخص المقدم يختار بشكل أساسي من المقيمين في الشرق، ونظراً لأهمية الداوية بالنسبة للبلاط الفرنسي فقد أثرت الملكية الفرنسية في اختيار المقدم مثل ضغوط التاج الفرنسي لاختيار **Reginald de Vichiers** عام ١٢٥٠ ومع توسع الهيئة وزيادة مهام القائد صار له هيئة مساعدة تكونت من اثنين من الفرسان ورقيب وقسيس وتركبولي وبيطري وطباخ وسكرتير مسلم. وكان من حق المقدم الحصول على أربعة خيول يختارها بنفسه من الخيول الواردة حديثاً من أوربا أو من غنائم الحرب.

القهرمان (**Seneschal**): كان نائب وناصح للقائد الأعلى، وفي حالة غياب المقدم كان يتولى مهامه، وفي الغالب يصير المقدم الجديد أو يتولى الوظيفة بعد أمد من الزمن مثل **André de Montbard** الذي كان أحد فرسان هيو بايين وبعد شغله لوظيفة سنكال أو قهرمان لمدة أربع سنوات صار مقدم أعلى عام ١١٥٣، وقد كان للقهرمان هيئة مساعدة مثل المقدم.

المارشال: كان مسئولاً عن كل القرارات العسكرية وشراء الخيول والعتاد وله سلطة قضائية على القادة الإقليميين. وكانت رتبته تلي رتبة المقدم الأعلى وكان يتولى سلطاته حال وفاته لحين اختيار مقدم جديد.

قادة المناطق: كانوا مسئولين عن مناطق بعينها مثل قائد القدس وكان له كل سلطات المقدم الأعلى داخل المدينة دون غيرها، قائد طرابلس، قائد عكا، قائد أنطاكية. وفي كل بلد أوربي كان هناك حضور للداوية وكل بلد لها مقدمها الذي يرفع تقاريره إلي المقدم الأعلى في مملكة بيت المقدس .

أمين المال: كان مسئولاً عن الإيرادات والمصروفات وتأمين مدخرات الهيئة، وكانت سلطته تلى سلطة المقدم و المرشال؛ لذا كان يمارس سلطتيهما حال غيابهما.

المشرف على الملابس: كان مسئولاً عن الملابس والفرش، وكذلك التأكد أن الأخوة لا يكتنزون متاعًا لأنفسهم فوق الحاجة الضرورية، كما عهد إليه بتوزيع الهدايا التي ترد إلي الهيئة.

قائد النزل: كان مسئولا عن مقرات الداوية، وتجهيزها بما يلزم الإقامة فيها.

ملابس الهيئة:

عاش الفرسان الداوية في بداية عهدهم عيشة زهد وتقشف التزاماً بمبدأ تأسيس الجماعة معتمدين على ما يجود به المحسنون من الفرنجة، ثم توحد زيهم فارتدوا رداءًا أبيض رسم عليه صليب أحمر، وكان البياض لون عباءات الفرسان دون غيرهم من باقي فئات الهيئة، وهو أمر شدد عليه القانون أيما تشديد حسبما ورد في الفصل الثاني والعشرين من قانون الهيئة أما الأتباع والخدم فقد منعوا من ارتدائه وحدد لهم اللون الأسود وإن تعذر فالبنى. وكان كل فارس من حقه عباءة شتوية وأخري للصيف، وشدد القانون على ضرورة أن يرتدى كل عضو ملابسه بنفسه، ويجب على متولي الملابس أن يقدم لكل عضو في الهيئة ما يناسبه كل حسب مقاسه.

أما بالنسبة للملابس القديمة فقد كانت تودع في مخزن الملابس في مكان خصص لها لإعادة استخدامها إذا لزم الأمر، أو توزع على الخدم أو حتى على الفقراء.

كما حظر عليهم ارتداء الفراء حتى في الشتاء فيما عدا ما كان مصدره الحملان من الضأن دون غيرها.

ملابس الداوية نقلاً عن

Hellen Nicloson, Knight Templar, Oxford, ٢٠٠٤



الطعـــــام:

حسبما نص القانون الأساسي للهيئة فقد كان يجب على الأخوة الداوية أن يأكلوا مجتمعين في قاعة الطعام المخصصة لهذا الغرض، وأن يكون الأكل في صمت حسبما أمر الكتاب المقدس، وإذا ما احتاج المداوي شيئاً أثناء الطعام يطلبه بلطف وتضرع. كما وجب قراءة شيء من الكتاب المقدس مع الغداء والعشاء، وسمح لهم بتناول ثلاث وجبات من اللحم أسبوعياً. ويجب أن يأكل كل اثنين من الأخوة في صحن واحد، مع السماح للجميع بشرب مقدار متساو من النبيذ. كما حدد القانون تقديم وجبتين أو ثلاثة من الخضار في أيام الاثنين والأربعاء والسبت.

وفي أيام الجمع تقدم وجبتين من طعام الصوم فيما عدا المرضي أو إذا صادف ذلك اليوم يوم عيد. ويجب على الجميع تقديم الشكر للرب بعد وجبتى الغذاء والعشاء. وشدد قانون الجماعة على عدم الإفراط في شرب النبيذ ذلك أن "النبيذ يدفع الحكماء إلى نسيان الرب".

الدور العسكري للجماعة في عصر الحروب الصليبية:

مع زيادة إمكانيات الهيئة وبالتحديد في عهد ثاني مقدميها روبرت د ي كرون اتجهت الهيئة إلي المشاركة في الصراع مع المسلمين وجاء أول اشتراك عسكري للهيئة في عملية الاستيلاء على بزاغة شرقي حلب عام ١١٣٨م، كما شاركوا بشكل أكبر في الهجوم على عسقلان عام ١١٤١م ووقعوا في فخ الخطط الحربية التي اتبعتها حامية عسقلان الفاطمية مما جعلهم فريسة سهلة للمسلمين وكان من بين القتلى مارشال الجماعة نفسه ناهيك عن عدد كبير من فرسانه.

ومع مقدم الحملة الصليبية الثانية شاركوا في حصار دمشق عام ١١٤٨م، ودعموا ريموند أمير أنطاكية في صدامه مع نور الدين محمود عام ١١٤٩م ومن أنجح الأدوار التي قام بها الداوية وأظهرت شدة بأسهم تصديهم لنشاط طائفة الإسماعيلية وإجبارهم على دفع جزية قدرها ألف دينار ذهبي. كما أسهموا بشكل كبير في اقتحام عسقلان عام ١١٥٣م، غير أن فشل الهجوم وشعور المدفعين بأهمية الداوية فيه، أدى إلي قيام المدافعين بقطع رؤوس من وقع في أيديهم من الداوية وتعليقها على أسوار المدينة، لكن الصليبيين ومن بينهم الداوية عاودوا الهجوم مرة أخرى مستغلين ما شب من خلاف بين المدافعين عن المدينة واقتحموها عام ١١٥٣م .

ومع تمكن صلاح الدين من توحيد مصر والشام وتطلعه إلي تصفية المعاقل الصليبية اصطدم بالداوية وشدد الهجوم على معاقلهم، خاصة بعد أن شاركوا في معركة عسقلان عام ١١٧٧م التي هزم فيها صلاح الدين، وكاد أن يقتل على يد الداوية، ومن هنا أدرك صلاح الدين مدى ما يمثله الداوية من خطورة، ومن هنا عزم على إلحاق الضرر بهم أينما صادفهم، وقد تعرضوا لهزيمة ثقيلة على يديه عام ١١٧٩م في معركة مرج عيون وقتل عددًا كبيرًا من فرسانهم وأسر مقدم الجماعة أود دي سان أدموند **Eude de st. Amand** نفسه في المعركة.

وقد استغل صلاح الدين نصره الباهر في مرج عيون في تصفية قلعة مخاضة بيت الأحزان التابعة للداوية التي كانت واحدة من أخطر قلاع وحصون هيئة الداوية بسبب موقعها وشدة بأس تحصيناها وما حوته من مؤن ورجال.

وانتقاماً مما ألم بالداوية في مرج عيون شاركوا في حملة رينو ودي شاتيون (أرناط) على الحجاز عام ١١٨٣م، مما جعل صلاح الدين يضعهم في مقدم من تجب تصفيتهم من العناصر الصليبية بسبب طبيعتهم الدموية وتعصبهم الأعمى.

وقد تحقق جانب كبير من رغبة صلاح الدين في معركة رأس الماء التي سحقت فيها قوات الأفضل ابن صلاح الدين قوة كبيرة من الفرسان الداوية و الإسبتارية، وخلال هذه المعركة قتل مارشال الداوية جاك دي ميلي، وهرب مقدم الداوية جيرار ريد فورت بروحه، ومن هنا كانت مشاركة الداوية و الإسبتارية في حطين محدودة وإن كان مقدم الداوية قد دفع مبالغ طائلة للملك الصليبي للاستعداد للمعركة.

الداوية في المعركة عن

Hellen Nicloson, Knight Templar, Oxford, ٢٠٠٤



عقب نصر صلاح الدين المدوي في حطين ١١٧٨م سحق الجيش الصليبي وراح من كان به بين قتيل وأسير، وبالرغم من كرم صلاح الدين وإحسانه للقادة الصليبيين إلا أنه استثنى

منهم رينو ودي شاتيون بسبب حملة الحجاز ثم فرسان الداوية والاسبتارية المشاركين في المعركة فقد قطعت رؤوسهم بلا تردد بسبب ما ذكرنا من حقدهم وشدة بأسهم، ولم ينج من الداوية سوى مقدمهم بعد توسل الملك الصليبي لصلاح الدين ليعفو عنه.

وما أن دخل صلاح الدين إلي القدس عقب حطين حتى أزال مظاهر وجود الداوية في المسجد الأقصى وقبة الصخرة المباركين. وفي ظل قدوم الحملة الصليبية الثالثة شارك ما تبقي من الداوية في الحملة غير أنهم منوا بخسائر رهيبة، فقد ضاع منهم في يوم واحد أمام عكا مقدم الهيئة جيرار ريد فورت وسبعة آلاف من الداوية دفعة واحدة.

وفي معركة أرسوف شارك الداوية مشاركة غير ملحوظة بعد ما منيت به الهيئة من خسائر رهيبة في الماضي، ورفعا لمعنوياتهم قام ريتشارد قلب الأسد ببناء قلعة **Castel de Palines** ومنحها لهم ليقوموا بحماية الحجاج في طريق يافا القدس.

معسكر الفرسان الداوية

Hellen Nicloson, Knight Templar, Oxford, ٢٠٠٤



وفي القرن الثالث عشر تراجع دور الداوية في ظل انكماش مساحة الرقعة التي سيطر عليها الصليبيون في الساحل الشامي، وشاركوا في الحملة الصليبية الخامسة على مصر عام ١٢١٨م مما عرضهم لهجمات المعظم عيسي خاصة في عثليث تخفيفا لضغط الصليبيين عن مصر. كما شاركوا الحملة الصليبية السابعة على مصر مشاركة فعالة بحكم قيادة لويس التاسع للحملة وما للداوية من مكانة كبيرة لدى التاج الفرنسي، ونتيجة لعدم استجابة كونت أرتوا أخو لويس لنصائح الداوية وقعت هزيمة المنصورة؛ حيث حصر الجيش الصليبي في حواري المنصورة الضيقة مما مهد لوقوع جميع أفراد الحملة تقريبا بين قتيل وأسير.

وقد بدا شح الداوية واضحا في هذه الحملة في ظل رفضهم دفع فدية كونت بواتيه مما دفع جوانفيل مؤرخ الحملة والمقرب من الملك الفرنسي أن يذهب بنفسه إلى خزائن الداوية ويأخذ الأموال بالقوة.

وفي أعقاب فشل الحملة الصليبية السابعة لم يأت إلي الشرق حملة كبرى بحجم حملة لويس في وقت انتقلت فيه مقاليد الأمور إلي قوة إسلامية فتية جديدة هي المماليك، الذين أثبتوا بجدارة أنهم أقوى دولة إسلامية في ذلك العصر في أعقاب انتصارهم على المغول في عين جالوت عام ١٢٦٠م، ومن هنا كان هدفهم التالي هو تصفية معاقل الصليبيين،

ومن هنا لعب الداوية دورا لا ينكر في مقاومة المسلمين غير أنهم لم يستطيعوا أن يغيروا مجرى الأحداث، إذ تساقط ما بأيديهم من أملاك وقلاع بصورة تدريجية خاصة على يد الظاهر بيبرس، وأتم المسيرة من بعده المنصور قلاوون والأشراف خليل الذي حاصر عكا عما ١٢٩٠، وفي هذا الحصار قاتل الداوية بضراوة حتى فني معظمهم وفي مقدم من لقي مصرعه في حصار عكا كان مقدم الداوية وليم بيجي، بعدها تساقط ما تبقي بأيدي الداوية من مدن وقلاع مثل صيدا وعثليث.

وهنا فر الجميع إلى قبرص وإن بقيت فئة من الداوية في جزيرة أرواد قرب ساحل طرطوس حتى ١٣٠٢م.

نهاية الهيئة:

لم يطل عمر الهيئة بعد طردهم من الساحل الشامي، في ظل تقدم حب المال لدى مسئولي الهيئة على ما سواه، وهو ما أدي بهم إلي الدخول في خلافات بسبب احترافهم الصرافة والتسليف وكان من بين كبار المقترضين من الهيئة الملك الفرنسي وبسبب ضخامة قروض التاج الفرنسي حدث خلاف بين الهيئة وبين التاج الفرنسي، مما جعل الملك فيليب الرابع يسعى للتخلص من هذه الديون بالتخلص من الداوية أنفسهم حيث أحرقهم في باريس عام ١٣٠٧م بعد أن اتهمهم بالردة والوثنية وممارسة طقوس سرية واللواط والفساد المالي، وبعدها صدر قرار بابوي من قبل البابا كلمنت الرابع إلي كل ملوك أوربا بالقبض على المنتمين إلي الداوية في بلادهم، ثم صدر قرار في مجمع فينا عام ١٣١٢ بحل هيئة الفرسان الداوية بصورة نهائية.

الملاحق

الملحق رقم (١)

رسالة من السلطان الأشرف خليل بن قلاوون

إلي مقدم الفرسان الداوية تخبره بقرب مهاجمة مدينة عكا

"من سلطان السلاطين، ملك الملوك، وسيد السادة، الملك الأشرف القوي، المخيف، سوط العذاب، صائد الفرنجة والتتار والأرمن، نازع القلاع من يد الفجار، سيد البحرين، حارس موقعي الحج، خليل الصالح

إلي السيد مقدم الداوية، الصادق الحكيم

تحياتي وصادق أمنياتي، لأنك رجل حقيقي، لذلك فإننا نرسل إليكم بإشعار مسبق بنوايانا، ونفهمك أننا قادمون إلى بلادك لتصحيح الأخطاء التي حدثت. لذلك لا نريد أن يرسل أهل عكا إلينا أية خطابات، أو هدايا (تخص هذا الموضوع) لأننا لن نتسلمها على الإطلاق".

الملحق رقم (٢)

قائمة بمقدمي هيئة الفرسان الداوية

١- هيو بايز (Hugh of Payns) ١١١٩ -١١٣٦.

٢- روبرت كراون (Robert of Craon)١١٣٦ -١١٤٩.

٣- ايفارت بار Everard of Les Barres ١١٤٩ -١١٥٢

٤- برنارد تريمالاي Bernard of Tremelay ١١٥٣

٥- أندرو مونتبارد Andrew of Montbard ١١٥٤ -١١٥٦

٦- برنارد بلانكفورت Bertrand of Blancfort ١١٥٦-١١٦٩

٧- فليب نابلس Philip of Nablus ١١٦٩ -١١٧١

٨- أودو سان أماند Odo of Saint-Amand ١١٧١ -١١٧٩

٩- أرنولد تورجا Arnold of Torroja ١١٨١ -١١٨٤

١٠- جيرارد ريد فورت Gerard of Ridefort ١١٨٥ -١١٨٩

١١- روبرت سابل Robert of Sable ١١٩١ -١١٩٢/١١٩٣

١٢- جيرارد ايريل Gilbert١١٩٤-١٢٠٠

١٣- فليب بليسي Philip of Plessis١٢٠١-١٢٠٩

١٤- وليم شارتر William of Chartres ١٢١٠- ١٢١٨/١٢١٩

١٥- بطرس مونتاجي Peter of Montaigu ١٢١٩- ١٢٣٠/١٢٣٢

١٦- ارمند بريجورد Armand of Perigord ١٢٣٢-١٢٤٤/١٢٤٦

١٧- وليم سوناك William of Sonnac c. ١٢٤٧- ١٢٥٠

١٨- رينالدفيشيرز Reynald of Vichiers ١٢٥٠- ١٢٥٦

١٩- توماس بيرنارد Thomas Berard ١٢٥٦- ١٢٧٣

٢٠- وليم بيجي William of Beaujeu ١٢٧٣-١٢٩١

٢١- ثيبود جيدين Thibaud Gaudin ١٢٩١-١٢٩٢

٢٢- جيمس مولاي James of Molay ١٢٩٢-١٣٠٦

ملحق رقم (٣)

دليل للقراءة عن الفرسان الداوية

مثل أختها هيئة الفرسان الاسبتارية حظيت هيئة الفرسان الداوية بالاهتمام بالتأليف العلمي عنها في أوربا بأشكال عديدة مثل:

جمع الوثائق مثل:

- **Cartulaire général de l'Ordre du Temple, ١١١٩–١١٥٠: Recueildes chartes et des bulles relatives à l'Ordre du Temple, ed. Guigue A.M.J.A. d'Albon (Paris: Champion, ١٩١٣).**
- **La Règle du Temple, ed. Henri de Curzon (Paris: Librairie Renouard, ١٨٨٦).**
- **The Rule of the Templars: The French Text, trans. Judi Upton- Ward (Woodbridge, UK: Boydell, ١٩٩٢).**
- **The Templars: Selected Sources, trans. Malcolm Barber and Keith Bate (Manchester: Manchester University Press, ٢٠٠٢).**

الاهتمام بالتاريخ العام للهيئة مثل:

- Barber, Malcolm, The Trial of the Templars (Cambridge: Cambridge University Press, ١٩٧٨).
- ———, The New Knighthood: A History of the Order of the Temple (Cambridge: Cambridge University Press, ١٩٩٤).
- Borchardt, Karl, "The Templars in Central Europe," in The Crusades and the Military Orders: Expanding the Frontiers of Medieval Latin Christianity, ed. Zsolt Hunyadi and Jozsef Lasz lovszky (Budapest: Department of Medieval Studies, Central European University, ٢٠٠١), pp. ٢٣٣–٢٤٤.
- Bramato, Fulvio, Storia dell'Ordine dei Templari in Italia, vols. (Roma: Atanor, ١٩٩١–١٩٩٤).
- Bulst-Thiele, Marie-Luise, Sacrae Domus Militiae Templi Hierosoly mitani Magistri: Untersuchungen zur Geschichtedes Templerordens, ١١١٨/٩–١٣١٤ (Gottingen: Vandenhoeck & Ruprecht, ١٩٧٤).

- **Demurger, Alain, Les Templiers: Un chevalerie chrétienne au Moyen Age (Paris: Seuil, ٢٠٠٥).**
- **Finke, Heinrich, Papsttum und Untergang des Templerordens, ٢ vols. (Munster: Aschendorffsche Buchhandlung, ١٩٠٧).**
- **Forey, Alan J., The Templars in the Corona de Aragn (London: Oxford University Press, ١٩٧٣).**
- **———, The Fall of the Templars in the Crown of Aragon (Aldershot, UK: Ashgate, ٢٠٠١).**
- **Nicholson, Helen J., The Knights Templar: A New History (Stroud: Alan Sutton, ٢٠٠١).**
- **Papsturkunden für Templer und Johanniter: Vorarbeiten zum Oriens Pontificus, ed. Rudolf Hiestand, vols. ١– ٢(Gottingen: Vandenhoeck & Ruprecht, ١٩٧٢– ١٩٨٤).**

- **Partner, Peter, The Murdered Magicians: The Templars and Their Myth (Oxford: Oxford University Press, ١٩٨١).**

كما اهتم الباحثون العرب بالهيئة فمنهم من خصها بدراسة مستقلة مثل:

- **إبراهيم خميس، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، جماعة الفرسان الداوية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.**

ومنهم من منحها الاهتمام ضمن دراسات مثل:

- **نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٩٤م.**
- **محمد مؤنس عوض، تاريخ الحروب الصليبية التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية ٦،٧ هـــ / ١٢،١٣م، دار الشروق رام الله، ٢٠٠٤.**
- **محمد فوزي رحيل، القانون الأساسي للفرسان الداوية وأثره في الحرب مع المسلمين، حصاد مؤتمر التاريخ الحربي عبر العصور، اتحاد المؤرخين العرب، ٢٠١٢م، ص ١٤٥-١٧٤.**
- **محمد فوزي رحيل، الجرائم المفضية للطرد من هيئة الفرسان الداوية، حولية سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٢١٥-٢٤٢.**

الفصل الثالث

الفرسان التيوتون Teutonic Order

الفرسان التيوتون

Teutonic Order

تعرضنا في الفصلين السابقين لاثنتين من هذه الهيئات الدينية العسكرية التي ظهرت في منطقة بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية وهما: هيئة الفرسان الإسبتارية وهيئة الفرسان الداوية، وفي هذا الفصل نلقي الضوء على هيئة ثالثة وهي الفرسان التيوتون.

تأسيس الهيئة:

ثمة جدال وخلاف بين المؤرخين حيال تأسيس هيئة الفرسان التيوتون، فبالرغم من شيوع اتخاذ عام ١١٩٠م عاماً لتأسيس الهيئة، إلا أن فريقاً من المؤرخين يؤكد تواجد الهيئة في القدس منذ وقت مبكر، وبالتحديد منذ ١١٢٧م، وذلك في صورة مستشفى أنشئ في القدس لخدمة الحجاج الألمان، وقد تأسس ذلك المستشفى على يد أحد الحجاج الألمان وزوجته، وأطلقا عليه اسم مستشفى السيدة العذراء لخدمة الحجاج الألمان Hospital of st. Mary of the German.

وكان موضع المستشفى الألماني في جنوب شرق القدس قرب مقر الداوية، ولم يقتصر الأمر على مجرد القيام بالخدمات الصحية لكن توازى ذلك مع تقديم خدمة الضيافة للوافدين من الألمان الذين وجدوا صعوبة في التعامل مع بيوت الخدمة في القدس بسبب عامل اللغة، وبجانب المستشفى ودار الضيافة وجدت كنيسة كرست باسم السيدة مريم العذراء.

وفي عام ١١٤٣م منح البابا سلستين الثاني الفرسان التيوتون نوعًا من الاستقلال الجزئي، وهو ما أدى إلي خلاف بين الفرسان الإسبتارية والفرسان التيوتون، فصل فيه البابا بإصدار مرسوم يمنح الهيئة الاستقلال على أن تبقي تابعة اسميا للإسبتارية، وأن يختص مقدم الإسبتارية باختيار مسئول المستشفى بشرط أن يكون من الألمان، وظل الوضع على ما هو عليه من اقتصار دور الهيئة على الخدمات الطبية للألمان دون غيرهم حتى تمكن صلاح الدين من فتح القدس عام ١١٨٧م فترك الألمان القدس مع باقي الصليبيين، وبذلك انتهى الدور الباكر من الهيئة الألمانية أو بالأحرى المستشفى الألماني.


20
21
1
11
12
13
22
4
2
14
23
3
6
10
15
16
5
9
7
17
8
18
19

ومع قدوم الحملة الصليبية الثالثة بقيادة ريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا وفيلب أغسطس ملك فرنسا، وإمبراطور ألمانيا فردريك بارباروسا، الذي توفي في الطريق، وتحديداً عام ١١٩٠م أثناء حصار الحملة لعكا قام بعض التجار الألمان من مدينتي برمن ولوبك برئاسة شخص يدعى سيبراند بتأسيس مستشفى ميداني للألمان التحق به من فر من القدس من عامة الألمان ورهبان المستشفى.

وبعد الاستيلاء على المدينة تم نقل المستشفى إلي داخل الأسوار، وحرص الألمان هذه المرة أن يكون مقرهم بجوار سور عكا بجوار مضيفة للأرمن، بعيداً عن مقر الداوية والاسبتارية تحاشياً لادعاء التبعية الذي عانى منه المستشفى الألماني طوال القرن الثاني عشر الميلادي في القدس.

وأخذت الهبات والامتيازات تتوالي على الهيئة الجديدة، ففي عام ١١٩١م وضع البابا كلمنت الثالث الهيئة تحت حمايته الشخصية، كما قدم لهم البابا سلستين الثالث عام ١١٩٦م منحة كبيرة تمثلت في إعفائهم من دفع العشور عن الأرض المستصلحة حديثاً، وعدم فرض أي ضرائب عليهم إلا من خلال الكرسي البابوي، كما أعطاهم الحق في انتخاب مقدمهم، بجانب حقهم في دفن المتوفين من غير الألمان، كذلك توجيه الأمر إلي رجال الدين بتقديم العون للأخوة الألمان وتزويدهم بما يحتاجون من مؤن وأدوات القتال، بجانب عدم التعرض لأملاكهم بالنهب أو السرقة، ناهيك عن فرض عقوبة الحرمان على من يخالف ذلك، كما تبرع لهم الملك جي لوزجنان ثم هنري شامبنى الذي نصبه ريتشارد قلب الأسد حاكما على الصليبيين في الساحل، كلا الرجلين منحا الألمان العديد من الهبات في عكا وصور ويافا.

وفي عهد الإمبراطور الألماني هنري السادس تلقت الهيئة دفعة جديدة حين قرر هذا الإمبراطور القيام بحملة صليبية لم يكتب لها النجاح بسبب وفاته في صقلية عام ١١٩٧م، غير أن التخطيط لهذه الحملة قد دفع بفريق من الألمان للوصول إلي الأرض المقدسة لدراسة الأوضاع، والتي تم النظر فيها مع كبار مسئولي الصليبيين في عكا، ومنها أن يطلب من البابا أن يأذن للأخوية الألمانية أن تشارك في الحرب ضد المسلمين، وقد استجيب لهذا الطلب من قبل البابا أنوسنت الثالث عام ١١٩٩م، وقد وضع البابا للهيئة دستوراً أو نظاماً مزج بين نظامي الداوية والإسبتارية، بحيث تسير الهيئة الألمانية على نظام الداوية في النواحي العسكرية، وعلى نظام الإسبتارية في النواح الخيرية. وبذلك تشكلت الهيئة العسكرية الرهبانية الثالثة وتكونت من الأخوة الفرسان والكهنة بجانب أنصاف الأخوة من غير النبلاء الذين تلقوا يمين التبعية للهيئة بجانب من عرفوا بأصدقاء الهيئة.

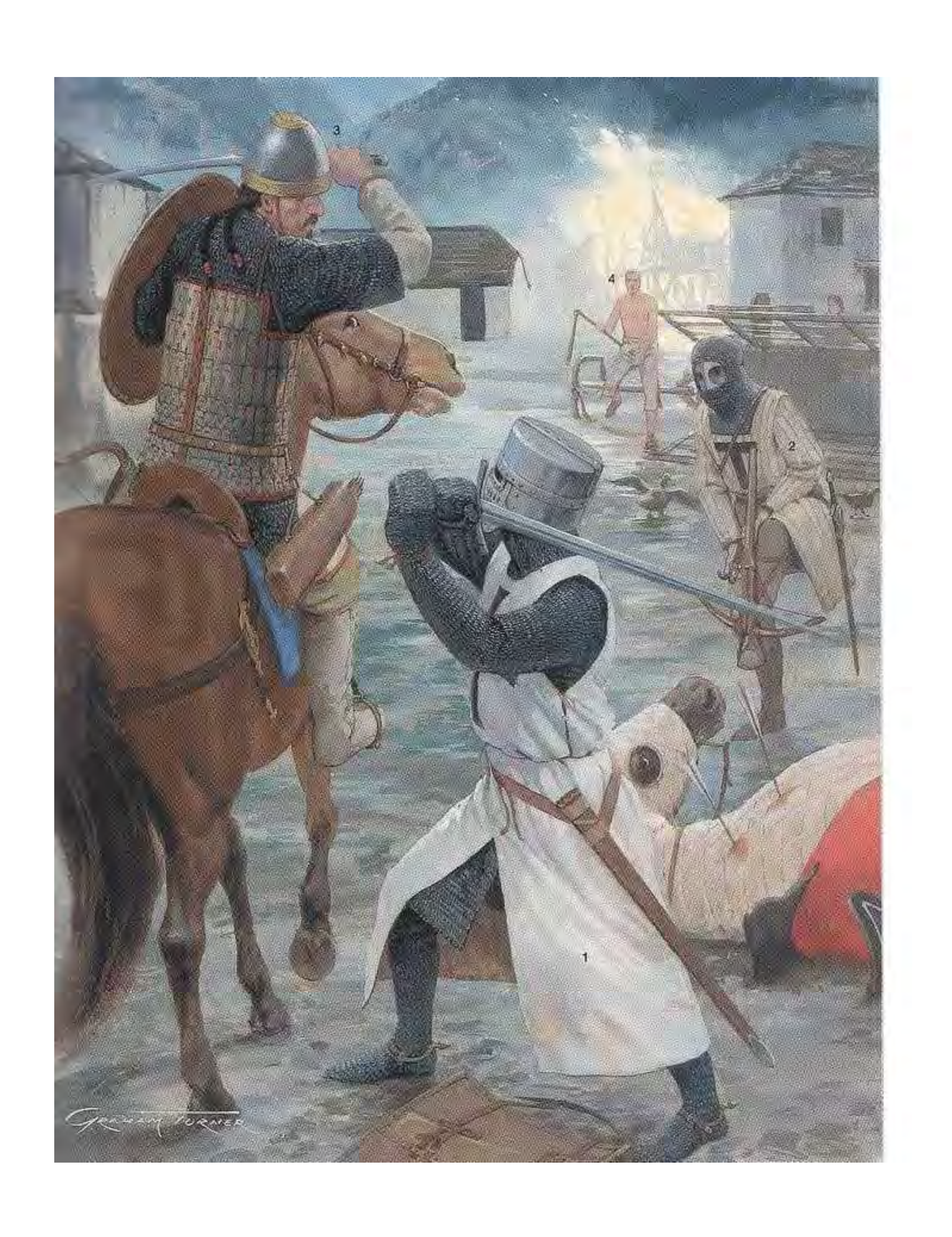
اتساع أملاك الهيئة:

بدئت أملاك الهيئة من سور عكا بعد سقوطها في يد جيش الحملة الصليبية الثالثة، لكن مع تحولها إلي هيئة عسكرية بجانب دعم الأباطرة الألمان لها اتسعت أملاكها في الأرض المقدسة، ومن أهم ما حصلوا عليه من مكاسب قلعة القرين، أو كما سميت في المراجع الأجنبية **Montfort** شمال شرق عكا على الضفة الغربية لنهر الجليل، وقد اتخذ الفرسان التيوتون من القرين مركزا لقيادتهم ومخزنا لمؤنهم وأرشيفا لوثائقهم.

وتدريجيا اتسعت أملاك الهيئة حول القلعة في منطقة الجليل حتى بلغت نحو خمسين قرية. كما امتلكوا قلعة قرب القرين اسمها قلعة الملك آلت إلي التيوتون بالشراء عام ١٢٢٠ ضمن إقطاع شمل عدد من القرى والقلاع الصغيرة.

وبفضل دعم الإمبراطور فردريك الثاني للهيئة حصل التيوتون على أملاك واسعة شمال بيروت وكذا وادي نهر الأردن، كما تمكنوا من شراء عدداً من القرى بين صفد وعكا، كما منحهم الإمبراطور إقطاع مارون **Meron** قرب نابلس والذي كان ذا عائد كبير وذلك عام ١٢٢٩م، وبالطبع كل ذلك لأنهم ألمان ولأنهم الهيئة الدينية الوحيدة التي لقي منها الدعم أثناء حملته الصليبية المعروفة بالسادسة، وفي أعقاب اتفاقية يافا مع الملك الكامل عام ١٢٢٩م حصل الفرسان التيوتون على منزلين في القدس من الإمبراطور فريدريك الثاني تقديرا لدورهم ودعمهم له.

كما حصلت الهيئة على بعض الهبات في أنطاكية عام ١٢٢٠م حتى يساعدوا في الدفاع عنها، وحدث نفس الأمر في طرابلس، كما اتسعت أملاكهم في قبرص وقليقية في أرمينيا الصغرى. واستمرت أملاكهم في الاتساع معتمدين على قدراتهم المالية، ومن ذلك قيامهم بشراء أملاك في بارونية صيدا عام٦٥٤هـ / ١٢٥٧م من جوليان وريث البارونية وذلك مقابل ٢٣٥٠٠


3
4
2
1
GRAHAM TURNER

بيزنت وهو عملة ذهبية ودفع هذا المبلغ الضخم بمقاييس هذا العصر يوضح تضخم ثروات الهيئة، كما حصلت الجماعة على منطقة شقيف تورون بالشراء أيضًا من جوليان الوريث الضعيف لصيدا في ظل إدراكه عدم قدرته على التصدي للمسلمين، وبالرغم من هذا الانتشار الواسع للهيئة في الشرق في القرن الثالث عشر الميلادي إلا أننا ننوه أن أملاكهم كانت أكثر اتساعا في أوربا الشرقية حيث نشطوا في نشر المسيحية هناك بين الوثنيين في بلغاريا وبروسيا، وقد كان وجودهم في هذه الأماكن أكثر استمرارا وأعظم إنجازا مما حققوه في الشرق، حيث لم يبدأ العقد الأخير من القرن الثالث عشر إلا وكان الوجود الصليبي في الساحل الشامي قد انتهي تقريباً.

الهيكل التنظيمي للهيئة:

لم يختلف السلم الإداري للهيئة كثيراً عن الفرسان الداوية و الاسبتارية إذ تكون من المجلس الأعلى والذي كان يجتمع مرة كل عام؛ بغرض اتخاذ القارات المهمة الهيئة في مختلف شئونها، أو بغرض انتخاب المقدم الجديد، وكانت قرارات المجمع العام ملزمة لجميع الفرسان التيوتون في سائر أنحاء العالم.

وقد تكون هذا المجمع من المقدم الأعلى ونواب المقدم في مختلف المناطق والقادة العسكريين. أما المقدم فقد كان أكبر المناصب في الهيئة وصاحب سلطات واسعة، وينتخبه المجلس الأعلى ويتولى هذا المنصب طوال حياته أو حتى يستقيل إن أراد. يليه القائد الأعلى، وهو متولي الإشراف على النواحي غير الحربية، وتكاد وظيفته تشبه المقدم لكنه أقل منه في السلطان ويتبعه ويخضع لأوامره، وقد بدأ في الظهور في الوثائق منذ عام ١٢٠٧م، بجانب مساعد المقدم الأعلى و المسئول الديني **Prior**، وله سلطات دينية تضارع سلطة الأسقف. والقسطلان وهو مسئول القلعة والمارشال وهو المسئول عن الاستعدادات العسكرية وتجهيز المؤن والذخائر والخيول ثم الخازن وهو المسئول عن ثروات الهيئة بجانب الرهبان المسئولين عن خدمة المرضى وأخيراً مسئول الملابس الذي ظهر اسمه في الوثائق منذ ١٢٢٠م.

ملابس الهيئة

ارتدى التابعون للهيئة عباءة بيضاء تشبه العباءة التي استخدمها الداوية مع وضع صليب أسود على هذه العباءة، وذلك بتوجيهات من البابا أنوسنت الثالث عام ١١٩٩م حين سمح للهيئة بالتحول إلي العمل العسكري.

نظم الهيئة:

صيغ قانون صارم ينظم كل أمور الفارس حقوقه وواجباته، وكتب باللغة الألمانية ضماناً لتلافي مشكلة الصياغة بلغة مختلفة، ولم يكن الالتحاق بالهيئة بالأمر الهين لكن كان له شروط بالغة الصرامة وأول هذه الشروط أن يكون العضو من أصل ألماني وأن يكون من النبلاء وألا يكون قد سبق له الزواج، وألا يقل عمره عن خمسة عشر عاماً، وأن يكون قوى البنية، ويلتزم بالبعد عن النساء حتى أمه وأخته، ومنع التقبيل وهو المعتاد للتحية بين النبلاء حتى الأم والأخت. ولم يسمح بتواجد الممرضات في المستشفيات سوى عند اتخاذ الإجراءات الاحترازية لتجنب الفضائح.

وكان على الفارس الالتزام بالعفة والطهارة طوال حياته، والدفاع عن الأرض المقدسة وحماية الفقراء والمساكين، ناهيك عن الطاعة المطلقة للمقدم، والتنفيذ الصارم لقوانين ونظم الهيئة. التزم الفرسان التيوتون بالعيش على أبسط ضرورات الحياة من الخبز والماء والنوم على فراش من القش، والالتزام بعدم الحصول على ملكيات خاصة به فيما عدا الخيل لضرورة تعود الفارس على فرسه، وأدوات الحرب من سيف ورمح وزرد وغيرها لضرورة تناسبها مع إمكانيات الفارس الجسدية، بجانب ترك مساكنهم التي كانت عبارة عن صوامع مفتوحة بشكل مستمر، كما شدد على عدم امتلاك الفارس للأسلحة المحلاة بالذهب أو الفضة، أو استخدام الألوان الزاهية تجنبا للفخر والخيلاء.

وكان كل فارس له الحق في اصطحاب عشرة من المساعدين وفي الغالب يكونون من أعضاء الهيئة من المستويات الدنيا، وهم يخدمون كمرافقين ورقباء يزودون الفارس بالفرس البديل وفي المعركة يقاتلون بجانبه الأعداء، وشدد على الفرسان بعدم ترك الجماعة والقتال منفردا مما يعرضه لخطر القتل أو الأسر. وسمح لهم بالصيد بغية التدريب أو التعود على جغرافية الأماكن التي يعيشون فيها، وكان تحريم الصيد بالنسبة لهم أمرًا مرفوضًا في ظل نشأتهم في الغابات الألمانية الكثيفة المليئة بالأخطار والوحوش، وقد سمح لهم باصطياد الذئاب والدببة والخنازير والأسود باستخدام الكلاب، أما باقي الوحوش فيتم صيدها بدون كلاب.

العقوبات

حدد قانون التيوتون مجموعة من العقوبات المتدرجة من الخفيفة والمعتدلة والحادة والحادة جداً حسب الجرم، ففي حالة الجرائم الخفيفة يعاقب الفارس بالنوم مع الخدم ويلبس ملابس غير مميزة ويحرم من العشاء الرباني مع الفرسان. وإذا زاد الجرم يعاقب بالحبس أو باستخدام الحديد . وكان هناك ثلاث جرائم كبرى شديدة العقوبة وهي الفرار من القتال أو الاتصال بالأعداء أو اللواط، ففي الجريمة الأولى والثانية يطرد من الهيئة أما في الثالثة فعقوبتها الإعدام أو السجن المؤبد، وبصفة عامة كانت الجرائم الصغرى هي الأكثر انتشاراً.

الدور العسكري للجماعة في عصر الحروب الصليبية:

كان الفرسان التيوتون أقل تعصبا وتشددا من الداوية والإسبتارية عند التعامل مع المسلمين، فمنذ وقت مبكر من عسكرة الهيئة وبالتحديد عام ١٢١٠م قبل مقدم الهيئة هيرمان بارد المهادنة مع الملك الأيوبي العادل، وساند أسرة أبلين في ذلك لكن صيحة الحرب تغلبت ورفضت الهدنة من جانب الداوية و الإسبتارية وهو ما دفع بالعادل لإرسال قوة عسكرية أوقعت بالصليبيين حول عكا وأحدثت فيهم مقتلة عظيمة. كما شاركوا في الحملة الصليبية الصغيرة المعروفة اصطلاحا بالحملة الهنغارية (المجرية).

وبالرغم من فشل الحملة إلا أن الفرسان التيوتون حازوا إعجاب الملك الهنغاري أندرو الثاني الذي منحهم منحة كبيرة في هنجاريا حين عاد إليها، وخلال الحملة الصليبية الخامسة التي قادها الملك حنا دي برين عام ١٢١٨م شاركوا بقوة عسكرية لمهاجمة دمياط ولكن دورهم كان محدودا إذا قورن بقوة الداوية والإسبتارية المشاركتين في الحملة، وبالتالي تركز جهدهم في حماية المعسكر الصليبي، وقد أبلوا في ذلك الأمر بلاء حسنا حين ساندوا الداوية في صد هجوم لقوات الملك الكامل على المعسكر، كما تعرض مارشال الجماعة الألمانية وقائدها العام للأسر في هجوم مضاد على المعسكر الصليبي، لكن دورهم تصاعد بعد ذلك بعد وصول مقدم التيوتون هرمان فون سالزا ومعه قوات ألمانية تبلغ خمسمائة فارس، لكن هذا التنامي لم يمنع فشل الحملة.

وخلال الحملة الصليبية السادسة التي قادها فردريك الثاني إلي الساحل الشامي برز دور هيئة التيوتون في دعم الإمبراطور الذي وجد صداً ومعارضة من الجميع خاصة الداوية و الإسبتارية؛ ويرجع ذلك الموقف إلي خروج الإمبراطور في حملة صليبية وهو محروم كنسيا، أما التيوتون بقيادة مقدمهم هيرمان فون سالزا فقد ساندوا الإمبراطور بكل ما أوتوا من قوة حتى عقدت اتفاقية يافا **١٢٢٩م** بين الملك الكامل الأيوبي والإمبراطور، والتي عادت بمقتضاها القدس إلي يد الصليبيين دون تحصين.

وعقب عودة الإمبراطور إلي أوربا ساند التيوتون المندوب الإمبراطوري ريتشارد فلانجيري ضد بارونات المملكة المعارضين للفريق الإمبراطوري، حتى نشب صراع بين الطرفين شمل الساحل الشامي وقبرص فيما عرف اصطلاحا بحرب اللومبارد.

وقد تعرضت هيئة التيوتون لضربة موجعة تركت أثرها على الهيئة طوال المدة الباقية للصليبيين في الساحل الشامي تمثلت هذه الضربة في هزيمة الصليبيين في معركة غزة عام **١٢٤٤م** تلك المعركة التي سحقت فيها الجيوش الأيوبية الجيش الصليبي وأبيد جل من شارك فيها ومن بينهم عدد كبير من الفرسان التيوتون الذين قتلوا، ولم ينج منهم سوى ثلاثة فرسان فقط.

وخلال الحملة الصليبية السابعة التي قادها ملك فرنسا، ووجهت نحو مصر عام ١٢٤٨م، فقد ضرب فيها الفرسان التيوتون بسهم وافر، وتعرضوا لخسائر فادحة من جراء هذه المشاركة مثلهم مثل باقي القوات الصليبية.



كما برز دور التيوتون العسكري في الساحل الشامي حين نشبت الحرب الأهلية في مدينة عكا فيما بين عامي ١٢٥٦م و ١٢٥٨م، تلك الحرب التي عرفت بحرب القديس سابا، لأنها بدأت من خلاف بين الجاليتين البندقية والجنيوية على هذا الدير، ثم اتسعت لتشمل كل الكيانات الصليبية في الساحل الشامي، خلال هذه الحرب ساند التيوتون الجانب البندقي.

وقد أسفرت هذه الحرب عن خسائر فادحة للصليبيين جميعا، ومن بينهم التيوتون وهو ما أقنع قادة التيوتون بالتوسع في العمل في شرق أوربا في ظل شعورهم باقتراب نهاية الصليبيين في الساحل الشامي، فكانوا كزرقاء اليمامة.

نهاية الهيئة في الساحل الشامي:

في أعقاب فشل حملة لويس قامت دولة المماليك عام ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م وهو ما أذن بعهد جديد وبشر برسم خريطة جديدة لمصر والشام، فقد حرصت الدولة المملوكية على أن تثبت لرعاياها أنهم الورثة الشرعيون للدولة الأيوبية، ولما كانوا ذوى أصول مسها الرق فقد حرصوا أشد الحرص على اكتساب الشرعية من خلال منجزات سيوفهم في التصدي لأعداء المسلمين، والذين تمثلوا في تلك الفترة في المغول الذين اجتاحوا شرق الدولة الإسلامية ثم اجتاحوا بغداد بعد ذلك، وبعدها بلاد الشام لكن المماليك تصدوا لهم في عين جالوت بقيادة سيف الدين قطز ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م وبذلك وضع المماليك أول اللبنات في صرح شرعيتهم.

أما اللبنة الثانية، فقد تمثلت في جهودهم لتصفية ما بقي للصليبيين في الساحل الشامي، وقد بدأ ذلك مع الظاهر بيبرس الذي قفز على العرش بالتخلص من رفيقه وغريمه سيف الدين قطز.

وفي إطار جهود بيبرس لتصفية التواجد الصليبي كان من الطبيعي أن ينال الفرسان التيوتون نصيبهم من هجماته التي توالت على الصليبيين منذ ولايته للحكم، وقد وجهت هجماته بشكل مباشر لمعقل الهيئة الرئيسي في القرين منذ ٦٦٤هـ / ١٢٦٦م.

وكانت هجماته الأولي ذات طابع استطلاعي لاختبار قدرات الحصن وكشف عوراته، وفي عام ١٢٧٠م قام بيبرس بالهجوم الثاني على الحصن، وشدد عليه الحصار، واستخدم معه شتى الحيل حتى سقط الحصن.

وكان إصرار بيبرس على فتح معقل التيوتون ليس لمجرد تصفية التواجد الصليبي ولكن كعقاب عاجل للهيئة التي دخلت في تحالف مباشر ضمها والأرمن مع المغول ضد سلطنة المماليك وهو التحالف الذي سعى إلى وضع دولة المماليك الفتية بين شقي الرحى، بشن حملة صليبية مغولية مشتركة، لكن بيبرس كان على حذر من ذلك وتمكن من عقد صلات دبلوماسية أدت إلى فشل هذا المشروع، وهو ما مكنه من اجتياح أرمينيا وتدميرها وتسوية عاصمتها سيس بالأرض ثم فتح حصن القرين.

وبالرغم من سقوط حصن الهيئة الرئيسي إلا أنها ظلت تعمل بكل ما أوتيت من قوة للبقاء في الساحل الشامي، من خلال السعي لشراء مزيد من الأملاك لتعويض ما خسروا من أراضٍ، حتى فرض الحصار الأخير على عكا عاصمة الصليبيين في القرن الثالث عشر الميلادي، فشارك فرسان الجماعة في الدفاع عن المدينة، لكنه دفاع دون جدوى حيث شدد الأشرف خليل بن قلاوون في الحصار بقوات لا قبل للصليبيين بها في وقت لم تدعم فيه أوربا القوات الصليبية الدعم الكافي؛ مما عجل بسقوط عكا، وبعدها طرد الصليبيين من الساحل ، ومعهم ما تبقي من الجماعة الألمانية التي قتل معظم أعضائها تقريبا . غير أن جماعة التيوتون لم تنتهِ تماما بل نشطت في شرق أوربا حيث اتسعت أملاكها في هذه المنطقة.



الملاحق

ملحق رقم (١)

قائمة بأسماء مقدمي الهيئة في الساحل الشامي

١- هنريش فالبوت **Heinrich Walpot**(١١٨٩-١٢٠٠م)

٢- أتومن كربن **Otto von Kerpen**(١٢٠٠-١٢٠٩م)

٣- هنريش من تونا أوبارت **Heinrich von Tunna**(١٢٠٩-١٢١٠م)

٤- هرمان دي سالزا **Hermann von Salza**(١٢١٠-١٢٣٩م)

٥- كونراد أوف ثورنجيا**Konrad von Thüringen** (١٢٣٩-١٢٤٠م)

٦- جيرارد أوف مالبرج **Gerhard von Malberg**(١٢٤١-١٢٤٤م)

٧- هنريش أوف هوهنلوه **Heinrich von Hohenlohe**(١٢٤٤-١٢٤٩م)

٨- جونيتر اوف فيللر سلبن Günther von Wüllersleben(١٢٥٠-١٢٥٢م)

٩- بوبوا وف اوسترنا Poppo von Osterna(١٢٥٢- ١٢٥٦م)

١٠- أنو سانجر هاوزن Anno von Sangershausen(١٢٥٦-١٢٧٣م)

١١- هرتمان أوف هلدرنج Hartmann von Heldrungen(١٢٧٣-١٢٨٣م)

١٢- بركاره أوف شافندن Burchard von Schwanden(١٢٨٣-١٢٩١م)

ملحق رقم (٢)

دليل للقراءة عن الفرسان التيوتون

وثائق الهيئة

- **Tabulae ordinis Theutonici, ed. Ernst Strehlke (Berlin: Weidmann, ١٨٦٩).**

دراسات حديثة عنها:

- **Boockmann, Hartmut, Der Deutsche Orden: Zwlf Kapitel ausseiner Geschichte, ٤th ed. (Munchen: Beck, ١٩٩٤).**
- **Burleigh, Michael, Prussian Society and the German Order: An Aristocratic Society in Crisis, c. ١٤١٠–١٤٦٦ (Cambridge: Cambridge University Press, ١٩٨٤).**
- **Christiansen, Eric, The Northern Crusades: The Baltic and the Catholic Frontier, ١١٠٠–١٥٢٥ (London: Macmillan, ١٩٨٠).**

- **Favreau, Marie-Luise, Studien zur Frühgeschichte des Deutschen Ordens (Stuttgart: Klett, ١٩٧٤).**
- **Forstreuter, Kurt, Der Deutsche Orden am Mittelmeer (Bonn: Wissens chaftliches Archiv, ١٩٦٧).**
- **Die Hochmeister des Deutschen Ordens, ١١٩٠–١٩٩٤, ed. Udo Arnold (Marburg: Elwert, ١٩٩٨).**
- **Kluger, Helmuth, Hochmeister Hermann von Salza und Kaiser Friedrich II (Marburg: Elwert, ١٩٨٧).**
- **Maschke, Erich, Domus hospitalis Theutonicorum: Europische Verbindungslinien der Deutschor densgeschichte (Bonn- Godesberg: Wissens Chaftliches Archiv, ١٩٧٠).**
- **The Military Orders: Fighting for the Faith and Caring for the Sick, ed. Malcolm Barber (Aldershot, UK: Variorum, ١٩٩٤).**
- **Militzer, Klaus, Die Entstehung der Deutschor densballeien im Deutschen Reich, ٢d ed. (Marburg: Elwert, ١٩٨١).**

- ———, Von Akkon zur Marienburg: Verfassung, Verwaltungund Sozialstruktur des Deutschen Ordens, ١١٩٠–١٣٠٩ (Marburg: Elwert, ١٩٩٩).
- Milthaler, Frank, Die Grogebietiger des Deutschen Ordens bis ١٤٤٠(Konigsberg: Ost-Europa-Verlag, ١٩٤٠).
- Die Statuten des Deutschen Ordens nach den'testen Hands chriften, ed. Max Perlbach (Halle an der Saale: Niemeyer, ١٨٩٠).
- Tumler, Marian, Der Deutsche Orden im Werden, Wachsenund Wirken bis ١٤٠٠ mit einem Abriك der Geschichte des Ordens von ١٤٠٠ bis zur neuesten Zeit (Wien: Panorama,١٩٥٥).
- Urban, William, The Teutonic Knights: A Military History (London: Greenhill, ٢٠٠٣).
- Zimmermann, Harald, Der Deutsche Orden in Siebenbürgen: Ein diplomatische Untersuchung (Koln: Bohlau, ٢٠٠٠).

أما بالعربية فما كتب عنها ليس بالكثير لكن هناك دراسة قيمة عن تاريخ الجماعة في بلاد الشام:

- **حسن عبد الوهاب، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م**

كما حظيت بالاهتمام لدي :

- **نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٩٤م.**
- **محمد مؤنس عوض (دكتور)، تاريخ الحروب الصليبية التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية ٦،٧ هـ / ١٣،١٢م، دار الشروق رام الله، ٢٠٠٤.**

الفصل الرابع

هيئة فرسان القديس توماس The Order of the Knights of St. Thomas of Acre

هيئة فرسان القديس توماس

The Order of the Knights of St. Thomas of Acre

هذا هو الفصل الرابع من كتاب الهيئات الدينية العسكرية، ويدور حول هيئة دينية تميزت بميزة الإقليمية المفرطة؛ حيث لم يقبل في عضويتها غير الفرسان من الإنجليز والتي عرفت باسم "هيئة فرسان القديس توماس في عكا" **The Order of the Knights of St. Thomas of Acre** مثلها مثل هيئة الفرسان التيوتون الذين غلب عليهم العنصر الألماني.

إشكاليات الكتابة عن هذه الهيئة:

ونبه القارئ الكريم إلي الصعوبة البالغة في الكتابة عن هذه الهيئة ومرجع هذه الصعوبة هو ندرة المادة التاريخية المتعلقة بها، ففي حين عثر الباحثون على أرشيفات كاملة تخص الداوية والإسبتارية والتيوتون الذين تحدثنا عنهم في الفصول الثلاثة السابقة، وهو ما مكن من كتابة عدد كبير من الكتب والبحوث والدراسات حول هذه الهيئات، إلا أن الأمر اختلف بشكل كامل مع هيئة فرسان القديس توماس.

ومرجع ندرة المادة العلمية عن هذه الهيئة إلي أمرين:

أولهما عدم لعب الهيئة دور محوري في الأحداث التي نتجت عن الصراع الإسلامي الصليبي في الساحل الشامي وإن كان هذا الدور لا ينكر حتى ولو كان صغيراً.

أما السبب الثاني والأكثر أهمية فهو تعرض أرشيف الهيئة في لندن للدمار شبه الكامل في الحريق الذي شب في لندن عام ١٦٦٦م، وبالتالي لم يصلنا من وثائقهم إلا القليل. وترتب على هذه الندرة محدودية الكتابة عن هذه الهيئة ففي العربية تكاد الدراسات والمؤلفات التي درست عصر الحروب الصليبية على كثرتها لا تشير إليها إلا عرضا أو تسقطها تماماً. أما في اللغات الأوربية فما كتب لا يتعدى أصابع اليد الواحدة.

نشأة الهيئة واتساع أملاكها:

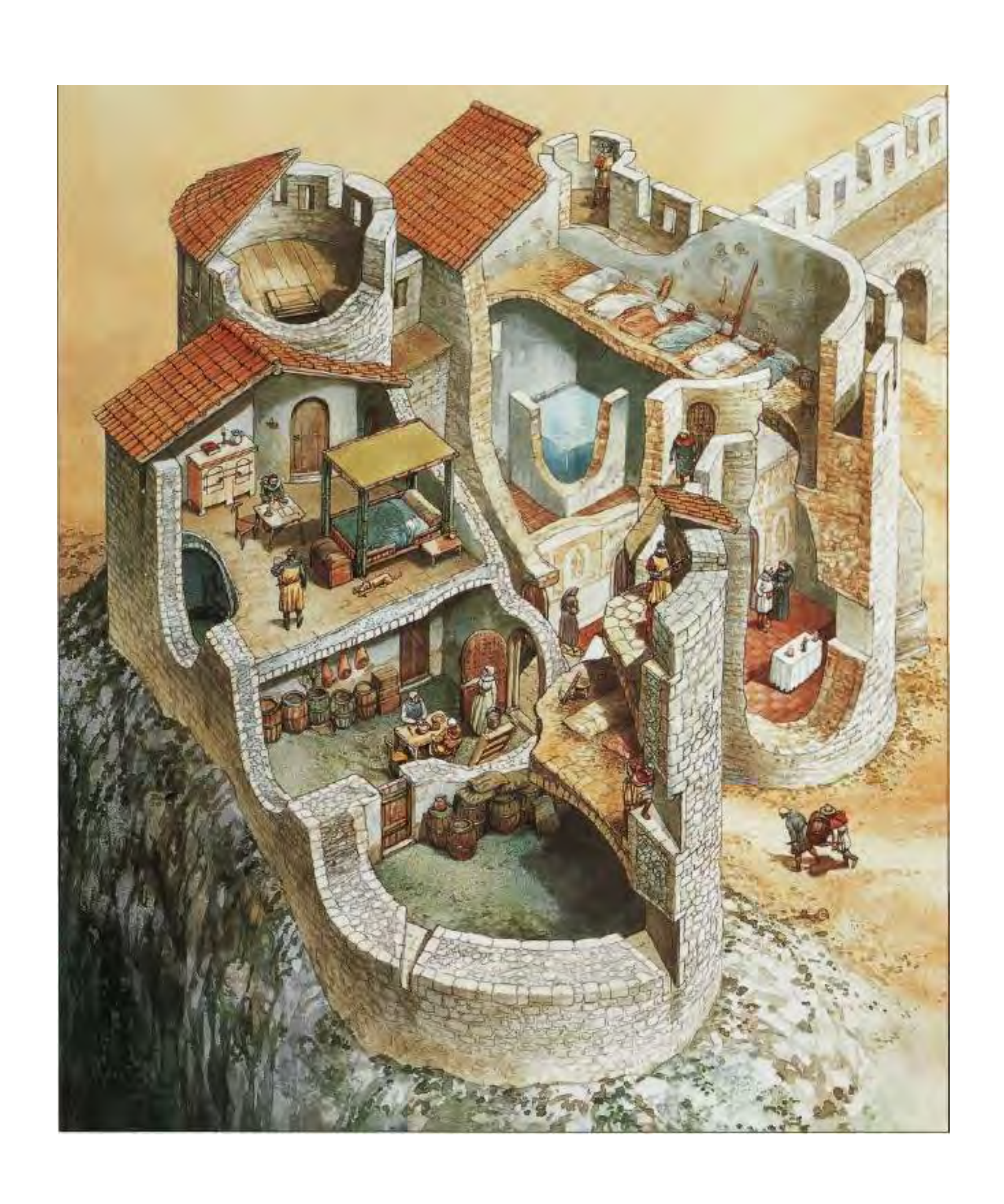
نشأت تلك الهيئة في عكا عام ١١٨٩م على يد قس إنجليزي اسمه وليم **William, Chaplain to the Dean of St.Pauls Cathedral at London** من أتباع رالف دي سيتو عميد كاتدارئية القديس بولس في لندن، وقد شارك هذا القس في الحملة الصليبية الثالثة ضمن جيش ريتشارد قلب الأسد **Richard The Lion Heart**، وعاني أشد المعاناة حين ضربتهم العاصفة وفرقتهم في عرض البحر، وحين نجى من العاصفة ووصل إلي ساحل الشام كرس نفسه لدفن الموتى من الإنجليز في عكا، حيث اشترى قطعة أرض بنى عليها كنيسة أهداها لتوماس بيكت.

وقد كان توماس بيكت رئيس الكنيسة الإنجليزية متمسكا بمبدأ سمو السلطة الكنسية على السلطة العلمانية، ومن ثم رفض محاكمة رجال الدين أمام المحاكم المدنية، وانتهي به الأمر إلي النفي من إنجلترا إلي فرنسا ثم عاد إليها ليثير مزيداً من المتاعب في وجه الملك، فقام بعض الفرسان بقتله إرضاء للملك عام ١١٧٠م، وكان مقتله بصورة مروعة شبهها المعاصرون بآلام المسيح – حسب اعتقاد المسيحيين– ومن ثم علا شأن بكت حتى اعتبر قديساً. وانتشر هذا التقديس على نطاق واسع في انجلترا وانتقل مع المقاتلين الإنجليز إلي الساحل الشامي.

ومهما يكن من أمر فقد عاون الملك ريتشارد الأول المشهور بقلب الأسد في بناء هذه الكنيسة بشكل أو بآخر، بحكم قيام الهيئة على خدمة المقاتلين والحجاج الإنجليز، ومن ثم وجب عليه دعم الهيئة بكل الوسائل، كما اشترى وليم قطعة أرض وخصصها لدفن الموتى.

وقد توسعت اهتمامات الهيئة بحيث شملت رعاية المرضى وعلاج الجرحى من الإنجليز، الأمر الذي تطور بعد سقوط عكا في يد الحملة الصليبية الثالثة إلي مستشفى صغير موله الملك ريتشارد أيضاً، والتي كرست أيضا لتوماس بيكت، ثم أضاف مهمة جديدة وهي جمع التبرعات لفداء الأسرى من الإنجليز الذين وقعوا في أسر المسلمين. وقد أقسم المنضمون للهيئة على الالتزام بالفقر والعفة والطاعة مثلهم مثل باقي الهيئات الدينية التي نشأت من قبل مثل الداوية والاسبتارية.

كما حصلت الهيئة في عكا على تبعية ثلاث كنائس محلية؛ هي: كنيسة القديس بطرس، وكنيسة القديس نيقولا وكنيسة القديسة مريم.



وقد سمح الملك الإنجليزي جون (١١٩٩– ١٢١٦) لرسل فرسان القديس توماس بالتجول في مملكته بغرض جمع الصدقات لفداء الأسرى، وقد عثر على خطاب كتبه الملك في عام حكمه التاسع ١٢٠٧م، وأشهد عليه عددًا من وجهاء البلاط الإنجليزي، يمنح فيه الملك الحماية لهؤلاء الرسل طالما بقوا في مملكته، ويحث جميع القادرين على تقديم الصدقات إليهم، وعدم التعرض لهم بأي شكل من أشكال الأذى مما يعوقهم عن إتمام مهامهم.

وعندما زار بيتر أوف روش أسقف ونكستر **Peter of Roche. The Bishop of Winchester** فلسطين عام ١٢٢١م– في أعقاب فشل الحملة الصليبية الخامسة على دمياط – بنى لهم كنيسة جديدة، ونقل مقرهم من جوار المستشفى الألماني إلي موقع أكثر اتساعا وهدوءا بعيداً عن ضجيج المدينة، وكان المقر الجديد قرب البحر في الربع الشمالي من ضاحية مونتمزار شمال عكا كما يتضح من الخريطة التي رسمها الراهب متى الباريسي لفلسطين.

كما منح بيتر أوف روش للهيئة مبلغًا ماليًا كبيرًا لتنمية إمكانيتها المالية قدر بخمسمائة مارك، أيضًا حصلت الهيئة على أملاك في قبرص وصقلية ونابلي في صورة تبرعات لدعم الهيئة، بالإضافة إلى استفادة الهيئة من دعم العرش الإنجليزي؛ إذ قام الملك هنري الثالث عام ١٢٣٩ بمنح الهيئة مبلغ ٢٠٠ مارك فضي توجه لشراء الأراضي لزيادة ممتلكات الهيئة في الشرق.

وحين جاء الأمير إدوارد إلي عكا عام ١٢٧١م شيد برجًا قرب شرقي السور الشمالي الخارجي للمدينة، حتى إذا اعتلى سدة العرش الإنجليزي في العام التالي ١٢٧٢م فعهد إلي فرسان القديس توماس بالدفاع عن هذا البرج.

كما اتسعت أملاك الهيئة في الجزر البريطانية وكان مقرها في Cheapside– أحد شوارع لندن– وهذا المكان هو مكان ولادة توماس بيكت نفسه. وبالطبع تمتعت الهيئة بحماية البابوية وصدر لصالحها عدد من القرارات في عهد البابا أنوسنت الثالث Innocent III (١١٩٨–١٢١٦م)، غير أن ضياع الوثائق الخاصة بالهيئة حرمنا من معرفة مقدار الدعم المترتب على هذه المنح، كما أصدر البابا إسكندر الرابعPope Alexander IV (١٢٥٤– ١٢٦١م) قرارا عام ١٢٥٦م بأن من ينضم لفرسان القديس توماس ويتبرع لهم بالصدقات يغفر له، غير أن القرار لم يفصل لنا ما يمكن للهيئة جمعه من العشور الكنسية، كما كانت تفعل باقي الهيئات الدينية العسكرية، لكن نص القرار على إعفاء الهيئة من دفع العشور عما تملكه من حيوانات وأطعمة.

كما أصدر البابا اسكندر الرابع أيضا قرارا بمنح هيئة فرسان القديس توماس في عكا الحق في دفن من يرغب في مقابرهم، وبالطبع كان يترتب علي ذلك الحصول على صدقات وهبات كانت تزيد من دخل الهيئة، وفي عام ١٢٧٩م أدرك البابا ألكسندر الرابع قلة موارد الهيئة، ومن ثم ناشد الملك إدوارد الأول دعم الهيئة ففعل، وظهر في الأفق مقترح بضم الهيئة ودمجها في هيئة الفرسان الداوية بسبب مشاكلها المالية؛ غير أن قادة الهيئة في الشرق والغرب رفضوا المقترح على الإطلاق، وكان ذلك الأمر قرب نهاية حكم الملك هنري الثالث، كما يظهر من رسالة وجهت من الفرسان الداوية إلي الملك هنري بحكم أنه وريث مؤسس الهيئة، لكن الموضوع لقي منه الرفض التام.

والجدير بالذكر أن ما تدفق من دعم من مقر الهيئة في الجزر البريطانية إلي الشرق كان محدودا للغاية بالرغم من مكانة القديس بيكت الكبيرة في انجلترا، حيث كانت توزع إيرادات ممتلكات الهيئة على فقراء انجلترا بدلا من إرسالها إلي الشرق، ويمكن تفسير ذلك في ضوء أمرين ضعف شأن الهيئة وبالتالي لم تضغط البابوي بقوة لجمع التبرعات لها، والأمر الثاني تراجع الحماسة الصليبية في أوربا في القرن الثالث عشر خاصة بعد أن صار شعار الحرب الصليبية يستخدم لحرب أعداء البابوية داخل أوربا نفسها، وهو ما فتح باب الشك في نفوس الأوربيين حيال كل دعوة للحرب الصليبية.

ولم يقتصر تراجع الدعم الأوربي على هيئة القديس توماس وحدها بل عانت منه كل الهيئات العسكرية.



عسكرة الهيئة:

تحولت الهيئة إلي النشاط العسكري بمساعٍ من بيتر أوف روش، وتقديراً من البابا جريجوري التاسع Gregory IX (١٢٢٧-١٢٤١م) لدور الهيئة في فلسطين وافق على تبنيها العمل العسكري، بجانب أعمالها الخيرية وذلك بعد أن أكد له ممثلو الهيئة أن من أسسها هو ريتشارد قلب الأسد نفسه، وبالتالي صارت تعرف هيئة فرسان القديس توماس العسكرية في عكا، وقد تم هذا التحول في عام ١٢٢٧م أو بداية عام ١٢٢٨م لأن بيتر كان معلومًا أنه موجود في عكا في خريف ١٢٢٧م والثابت أن التعديل تم قبل الخريف التالي.

والجدير بالذكر أن تحول الهيئة إلي العمل العسكري لم يأتِ من مجرد تشجيع بيتر أوف روش ولكن أيضا بتشجيع من بطريرك مملكة بيت المقدس (كان مقره في عكا في ظل فشل جهود استعادة القدس) بالإضافة إلي أقطاب المملكة، وهذا التشجيع على عسكرة الهيئة ليس بمستغرب في ظل العوز الشديد للمقاتلين الذي عانت منه الكيانات الصليبية في القرن الثالث عشر في ظل أمور عديدة؛ من بينها:

- نجاح الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤م في السيطرة على القسطنطينية وتأسيس مملكة لاتينية بها، وهو ما شتت جهود الصليبيين بين اليونان والساحل الشامي.

- بجانب فشل الحملة الصليبية الخامسة على مصر وخسارة عدد كبير من المقاتلين من مختلف الطوائف.
- ثم تراجع الحماسة الصليبية في ظل استغلال البابوية لشعار الحرب الصليبية لتصفية حساباتها في أوربا مع المناوئين لها.
- ناهيك عن خطورة الطريق سواء برا أو بحراً.

وفوق كل هذا الرغبة في الاستفادة من الدعم الإنجليزي للهيئة بحكم أنها هيئة للفرسان الإنجليز وهو ما يضمن سيلاً من المنح تصب عائداتها في الساحل مما يدعم من قوة الصليبيين، ولم تعتمد هذه المتغيرات من قبل البابوية إلا عام **١٢٣٦**م حين أكد البابا منحته للهيئة ووافق على تبنيها نظام الفرسان التيوتون.

نظام الهيئة:

لم تسر الهيئة على نظام واحد منذ نشأتها بل اتبعت نظمًا مختلفة كلها تقليد للهيئات الكبرى التي اشتهرت، واتسعت أملاكها، وشاركت بقوة في الصراع مع المسلمين من أجل البقاء في الساحل الشامي، فقد اتبعت النظام الأغسطيني حال تأسيس الهيئة بحكم احترافها الأعمال الخيرية؛ غير أن بيتر أوف روش حوله إلي نظام التيوتون بحكم صداقته لمقدمهم هيرمان فون سالزا الذي كان مستشارا للإمبراطور فردريك الثاني، بجانب أن نظام التيوتون يشدد على تمسك الفارس بالفقر والعفة وهو ما أقسم عليه أعضاء هيئة القديس توماس من البداية بجانب تأثر نظم التيوتون بنظم الإسبتارية خاصة في الجانب الخيري وبالتالي كان اختيار تبعية نظام التيوتون موفقًا إلى حد كبير من وجهة نظر المعاصرين في ظل جمعه بين العمل الخيري والخدمة العسكرية في نفس الوقت.

ومهما يكن من أمر فقد كان للهيئة نظام إداري كان في البداية المسئول الديني يقف على قمته، ومع التحول للنشاط العسكري صار المقدم العسكري على رأس الهيئة. ولا يعلم من هو أول مقدمي الهيئة، وما نعرفهم من مقدميهم في الساحل الشامي سوى اثنين هما: **William de Huntingfeud** عام ١٢٦٩، **Ralph de Coumbe** عام ١٢٧٩. وكان المقدم يعاونه عدد من الموظفين من بينهم القائد العسكري والمدرب ومن الغريب ألا تذكر الحوليات وظيفة الرقباء، أو من سماهم المسلمون السرجندية، لكن هذا الصمت لم يمنع وجودهم؛ نظرًا لأهميتهم في المنظومة العسكرية الصليبية، ناهيك عن عسكرة الهيئة، وبالتالي نجزم بوجودهم لكن صغر دور الهيئة لم يلفت إليهم النظر.

ملابس الهيئة:

اتخذ الفرسان التابعون للهيئة رداءاً مميزًا مكونًا من: عباءة بيضاء، عليها صدفة في الوسط، مطرزة بصليب أحمر، وتمييزًا لهم عن الفرسان الداوية أمر البابا جريجوري التاسع عام ١٢٣٦م بأن يكون الصليب نصفه أبيض والنصف الآخر أحمر بشكل عمودي.

الدور العسكري للهيئة في الحروب الصليبية:

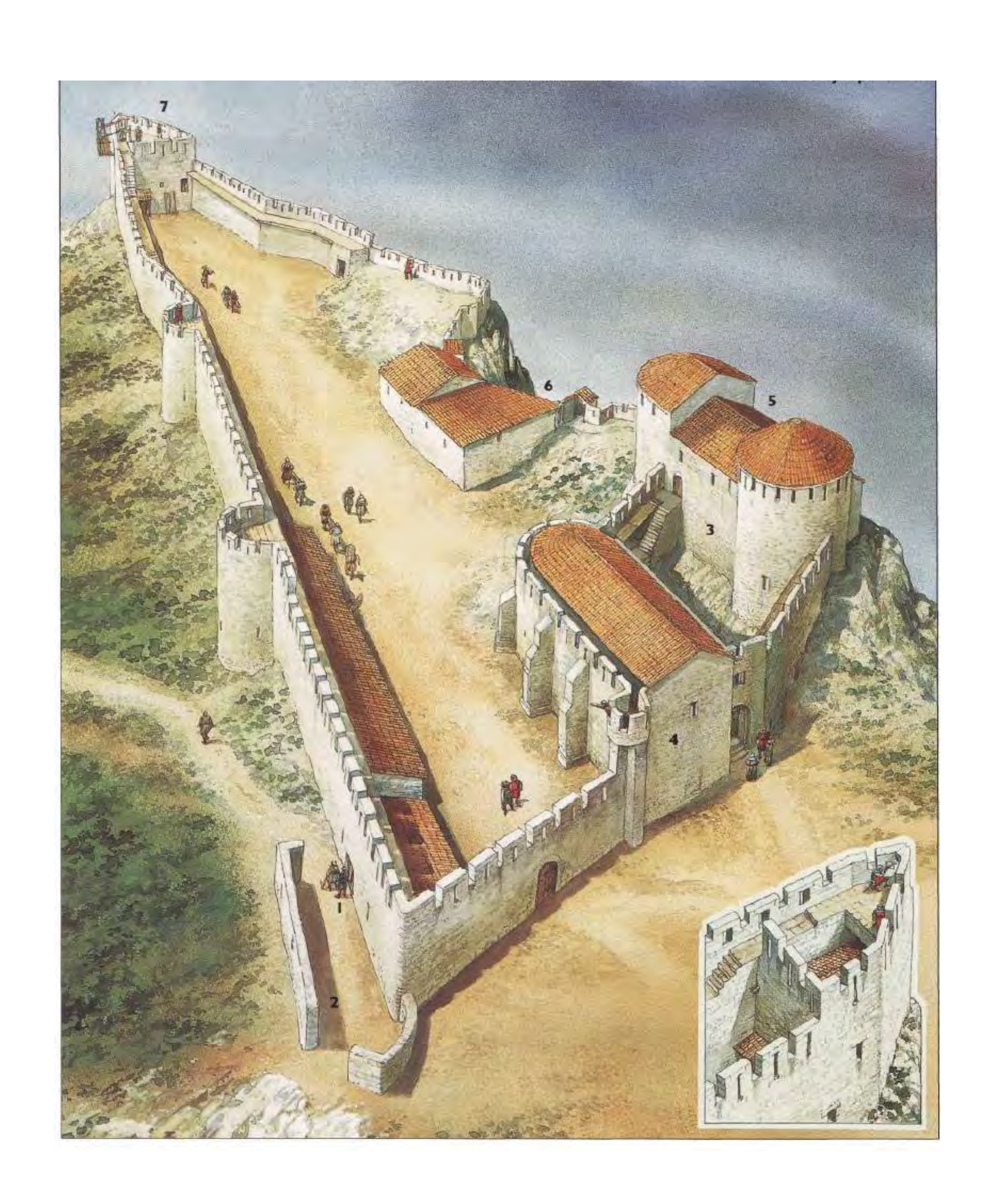
لم تبلغ هيئة فرسان القديس توماس في عكا من الشهرة ما بلغته الهيئات الدينية الكبيرة –الإسبتارية والداوية والتيوتون–، ومن ثم لم تتسع أملاكها بشكل كبير، وهو ما أضعف من إمكانياتها في المشاركة في الدفاع عن المغتصبات العربية، التي كانت ما زالت في يد الصليبيين بعد الحملة الصليبية الثالثة، والتي لم تتجاوز شريطًا ساحليًا بطول ساحل بلاد الشام من أنطاكية في الشمال حتى يافا في الجنوب.

ونظراً لصغر دورها فلم تعرها الحوليات بالاً حين أرخت للصليبيين في القرن الثالث عشر، ومن كتب عنها لم يكن من المعاصرين بل بعد جيل كامل، ومن ثم يتسرب الشك إلي ما كتب، فمثلاً كتب **Lodolph of Sudhein** في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي أن فرسان القديس توماس من بين من اعتمدت عليهم عكا في قتال المسلمين، وكرر نفس الكلام المؤرخ **Herman Korner** في حوليته المدعوة **Chronica Novella** بينما تذكر حولية الفرسان التيوتون التي كتبت في القرن الخامس عشر أن مقدم فرسان القديس توماس كان لديه خمسة آلاف رجل تحت قيادته، شارك بهم في الاستيلاء عن عكا عام ١١٩١م.

هذا الكلام نكاد نجزم بعدم صحته في ظل صمت المصادر المعاصرة، ويبدو أن مؤرخ التيوتون قد اعتبر الإنجليز المشاركين في الحملة الصليبية الثالثة هم جميعًا فرسانًا ينتسبون للقديس توماس، وربما نلتمس العذر لهذا المؤرخ في هذا الاعتقاد في ظل الانتشار الواسع والسريع لتقديس توماس بيكت بين الإنجليز، لكنها بشكل أو بآخر شاركت في الصراعات الداخلية التي نشبت بين الصليبيين، ففي عام ١٢٥٤م نشبت حرب أهلية في مدينة عكا بين الجالية البندقية والجالية الجنوية الإيطاليتين، وقد عرفت الحرب اصطلاحا بحرب دير سان سابا نظراً لأنها بدأت بسبب الخلاف على السيطرة على موقع الدير، وهو السبب المباشر للحرب.

أما سبب الصدام الحقيقي بينهما فكان الرغبة في السيطرة على التجارة في ساحل بلاد الشام وسائر البحر المتوسط، وتمكن كل فريق من استقطاب مجموعة من القوى الموجودة في مدينة عكا ثم اتسع الصراع ليشمل كل المدن التابعة للصليبيين في ساحل الشام، ويبدو أن فرسان القديس توماس كانت قوة لا يستهان بها رغم صغرها ومن ثم سعى الطرفان لاستقطابها حتى نجح الفريق الجنوى من ضم فرسان القديس توماس إليه. وقد زادت أهمية فرسان القديس توماس بعد حملة إدوارد الأمير الإنجليزي عام ١٢٧١م الذي دعم الهيئة بشكل كبير حتى بلغت ذروة قوتها عام ١٢٧٩م.

ويبدو أن الهيئة قد صارت أكثر قربًا من الملك الإنجليزي وهو ما شجعها على طلب المساعدة العاجلة لتدمير المسلمين، وقد وصلنا خطاب نادر عثر عليه des Mas Latrie مؤلف كتاب تاريخ جزيرة قبرص تحت حكم أل لوزجنان، كان قد عثر عليه في أرشيف برج لندن، وفحوى هذا الخطاب الذي وجه من إدوارد إلي مقدم فرسان القديس توماس في عكا بمواصلة رعاية الكنيسة والمستشفى المبنيين في عكا على شرف القديس توماس بمساعٍ حميدة من هيو الثالث ملك قبرص .


7
6
5
3
4
1
2

وقد كتب الرد في سبتمبر من العام نفسه من قبل **Robert de Cardolio** يشكر الملك على رسالته ويذكره أن مستشفى عكا بنيت بمساعٍ من أسلاف الملك، وبالتالي هي أيضاً تخص الملك الذي يجب عليه مواصلة دعم الهيئة في ظل ما يعانيه الصليبيون في الساحل الشامي وقبرص من الفقر والعوز، كما أوضحوا له سوء حال الصليبيين من جراء ما نشب بين كونت طرابلس والداوية من صراع في وقت المسلمين فيه في حالة من عدم الاستقرار مما ييسر الإيقاع بهم إذا وصلتهم معونة صغيرة. ويبدو أن ذلك إشارة للصراع الذي حدث عقب وفاة الظاهر بيبرس عام ١٢٧٧م. ويبدو أن مقدم الهيئة في عكا خلال تلك الفترة له نوع من السيادة ولو اسمية على باقي بيوت القديس توماس في البقاع المختلفة إذ وجد لقب مقدم الفرسان التيوتون في إحدى الوثائق تعود إلي عام ١٢٧٩م كالتالي"مقدم كل هيئة فرسان القديس توماس الشهيد في مملكة قبرص وأبوليا وصقلية وكالباريا وبرانديزي وانجلترا والفلاندرز وبرابنت واسكتلند وويلز وإيرلندا وكرنويل". وقد ظلت الهيئة في عكا تشارك في الدفاع عنها حتى ١٢٩١م، وراح ضحية هذه المشاركة مقدم الهيئة وتسعة من فرسانها وفر من تبقى من أعضاء الهيئة إلي قبرص.

نهاية الهيئة :

عقب طرد الصليبيين من الساحل الشامي استقرت الهيئة في قبرص خلال القرن الرابع عشر الميلادي وقامت ببناء كنيسة لها هناك كرست للقديس نيقولا في نيقوسيا، وآخر من دشن بمنصب الفروسية في الهيئة حسب ما وصلنا من وثائق نادرة هو الفارس Feater Richard الذي دشن عام ١٣٥٧م في كنيسة القديس نيقولا.

وقد ظلت الهيئة تصارع من أجل البقاء حتى قام الملك هنري ملك انجلترا بحل الهيئة بصورة نهائية عام ١٥٣٨م. وبيعت كنيسة الهيئة لشركة Mercers ودمرت تماما في الحريق الضخم الذي شب في لندن عام ١٦٦٦م .


Turris damiate

إحياء الهيئة:

في عام ١٩٧٤م تم إحياء هيئة القديس توماس في عكا كهيئة مسيحية إنجليزية مستقلة تحت اسم هيئة القديس توماس التذكارية The Commemorative Order of St. Thomas of Acon على غرار هيئة الداوية التي تم إحياؤها من جديد، وفي ظل الجهود المستمرة لأعضاء الهيئة انتشرت الكنائس التابعة لها في أسبانيا وكندا واستراليا ونيوزيلاند والولايات المتحدة الأمريكية، غير أن الهيئة الجديدة قد تميزت عن الهيئة القديمة بنبذها للطابع العسكري بجانب عدم التمسك بالأعضاء من الإنجليز فقط، بدليل انتشار الكنائس التابعة لها في البقاع المذكورة سالفا.

الملاحق

الملحق رقم (١)

قائمة بمقدمي الهيئة في بلاد الشام

في ظل ضياع وثائق الهيئة صار من العسير التعرف على كثير من الحقائق المرتبطة بالهيئة، ومن بين هذه الحقائق ما يتعلق بوظيفة مقدم الهيئة نفسه، فكل الحقائق المتعلقة بهذه الوظيفة هي محض اجتهادات، ومن بين هذه الاجتهادات ما نقدمه في هذه القائمة وقد اعتمدنا فيها على واتنى **Watney** في كتابه عن فرسان القديس توماس ص ١٥ ، و ١٦ الذي استطاع الإطلاع على القلة القليلة من وثائق الهيئة التالفة، وللفائدة سوف نذكر القائمة كاملة في ظل ندرة الكتاب الذي ألفه واتنى وصعوبة وصول الكثيرين إليه.

١- هنري دي نيفيل ,Henry de Neville كان مقدما عام ١٢٤٣.

٢- رالف ويلس ,Ralph Waleys عرف إن كان مقدمًا في عامي ١٢٤٤ بين ١٢٤٨.

٣- وليم دي هنتنفيد William de Huntingfeud ذكر أنه كان مقدمًا عام ١٢٦٧ .

٤- روبرت دي كونت Robert de Conde كان مقدمًا عام ١٢٧٧.

٥- هنري دي دينلم Henry de Dunolm ذكر أنه تولي القيادة في عهد إدوارد الأول.

٦- ادموند دي لندنEdmond de Londonكان مقدما في عهد ادوارد الثاني.

٧- ريتشارد برادلي Richard dr Barddey كان مقدما عام ١٣١٤.

٨- هنري دي بد فورد Henry de Bedford كان مقدما عام ١٣٢٦.

٩- رالف دي كومب Ralph de Coumbe كان مقدما ١٣٣١–١٣٤٠م.

١٠- بارثليميو دي كلوشتر Bartholomew de Colchestre كان مقدما ١٣٤٠–١٣٤٤م.

١١- وليم ميلي .William Mylc توفي ١٣٤٧م.

١٢- توماس سلو .Thomas Sallowc توفي ١٣٧١م.

١٣- ريتشارد سلو Richard Srwrllانتخب في فبراير ١٣٧١م.

١٤- ريتشارد الرد ,Richard Alredc ١٣٨٥–١٤٠٠م.

١٥- وليم بوفنى William Bovyn انتخب عام ١٤٠٠ وعلم انه كان في نفس المنصب حتى ١٤١٩م.

١٦- حنا نيل John Niel علم انه كان مقدم عام ١٤٢٩ وتوفي عام ١٤٦٣م.

١٧- حنا باركر John Parker خلف جنا نيل

١٨- حنا هاردنج John Harding علم انه كان مقدم عام ١٤٨٠ حتى توفي ١٤٩٢.

١٩- وليم هيل William Hill كان مقدما عام ١٥٠٠م.

٢٠- وليم آدم Richard Adams عزل من منصب المقدم عام ١٥١٠م.

٢١- حنا ينج ,John Young انتخب ١٥١٠م وبقي حتى ١٥٢٦.

٢٢- لورانس جوبفلر ,Lawrence Gopfelar انتخب عام ١٥٢٦م.

ملحق رقم (٢)

دليل للقراءة عن الفرسان الإنجليز

نظراً لتعرض أرشيف الهيئة للحريق في لندن فقد ضاعت كل وثائق الهيئة تقريبا وبالتالي ما كتب عنها قليل ونادر وما كتب عنها كله تقريبا باللغات الأوربية وهو قليل أيضا وباللغة العربية لم أرصد دراسة أفردت لها، ولمزيد من التفاصيل عنها انظر:

- **Forey, A. J. "The Military Order of St Thomas of Acre," English Historical Review, ٩٢ (١٩٧٧), pp. ٤٨١-٥٠٣.**
- **Vincent, N. Peter des Roches: an alien in English politics, ١٢٠٥-١٢٣٨, Cambridge, ١٩٩٦.**
- **Watney, J. Some Account of the Hospital of St. Thomas of Acon, in the Cheap, London, and of the Plate of the Mercers' Company, London, ١٨٩٢.**

- **Order of St. Thomas of Acre, in The Crusades an Encyclopedia, ed. By Alan Murray, Oxford, ٢٠٠٦, pp. ١١٨١- ١١٨٢.**
- **Knights of Saint Thomas, From Wikipedia, the free encyclopedia:**
- **http://en.wikipedia.org/wiki/Knights_of_Saint_Thomas**

الفصل الخامس

الفرســـان المجذومـــون Leper Knights

الفرسان المجذومون

Leper Knights

تعرفنا في الفصول الأربعة الماضية لأربع من الهيئات الدينية التي صبغت نفسها بالصبغة العسكرية، في ظل الظروف الحرجة التي مرت بها الكيانات الصليبية في ساحل بلاد الشام في القرنين السادس والسابع الهجريين (الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين).

تميزت اثنتان منهما بالصبغة الدولية وهما الداوية الاسبتارية، أما الهيئتين الأخريين فقد تميزتا بالقومية المفرطة وهما هيئة الفرسان التيوتون التي رفضت ضم غير الألمان، وهيئة فرسان القديس توماس التي لم تقبل غير الإنجليز. وفي هذا الفصل نتعرض لهيئة ذات طابع خاص، نبعت خصوصيتها من نوعية الأعضاء المنضمين إليها والذين انضموا إليها نتيجة ظروفهم الصحية، إذ ابتلاهم الله بداء الجذام، ومن ثم صعب عليهم الاستمرار في الحياة مع الأصحاء من الصليبيين، ومن ثم أنشأت هيئة دينية خاصة بهم ترعاهم وتدبر أمورهم حتى يأتيهم الأجل. وبصورة تدريجية صار لهم صبغة عسكرية ولعبوا دورا في الصراع الإسلامي الصليبي.

تأسيس الهيئة:

هيئة الفرسان المجذومين أو هيئة فرسان القديس لازاروس كما شاع اسمها وتداول في المراجع العلمية، هي هيئة ذات أصل غامض. بدأت في صورة مستشفى للجذام خارج أسوار مدينة القدس، في الركن الشمالي الغربي على الطريق المؤدى الي جبل الزيتون ونهر الأردن ومن ثم تولت الصدقات على الهيئة من الذاهبين إلى نهر الأردن رغبة في الاستشفاء بمياهه.

وتاريخ بدء الهيئة لا يمكن تحديده بشكل دقيق. إذ هناك من يرجع أصل الهيئة لمستشفى للجذام أقيم خارج القدس عام ٧٢م ومنها ما يرجعه إلي عام ٣٩٦م لكن كل هذه الآراء لا تقف على أرض صلبة، لكن الثابت أن الهيئة وجدت في القدس مع استقرار الصليبيين في القدس في مطلع القرن الثاني عشر الميلادي، وأقدم وثائق الهيئة يوضح أنها كانت موجودة عام ١١٣٠م. وكان من المفترض أن يكون كل أعضاء الهيئة من المصابين بالجذام، لكن من الواضح أنه قد سمح بانضمام غير المجذومين وفي الغالب بشكل تطوعي بغرض رعاية المصابين بالمرض، وعلى الأرجح أن هؤلاء المتطوعين كانوا من مرتكبي الآثام الراغبين في التكفير عن آثامهم برعاية المصابين بهذا الداء الخطير، إذ من المعروف أن داء الجذام هو مرض معد يصيب الجلد بصورة رئيسة ويمتد ليصيب الأغشية المخاطية، ولا ينتهي أبدًا؛ حتى يقضي المصاب نحبه. ومنذ بدء تواجد الصليبيين في الساحل الشامي تفشى بينهم هذا المرض بشكل مريع، ولم يفرق بين الطبقات إذ أصيب به الكثيرون من العامة حتى الأسرة المالكة؛ إذ اشتهر من ملوك الصليبيين في الساحل الشامي بلدوين الرابع بالمجذوم (١١٧٤ -١١٨٥م) .



ومن ثم لقيت الهيئة الرعاية من كل طبقات المجتمع الصليبي في الساحل الشامي، وبصورة تدريجية اتسعت أملاك الهيئة في القدس وعكا بجانب بعض الملكيات الصغيرة في جنوب مملكة القدس الصليبية.

فعلى سبيل المثال في عام ١١٤٢م قام الملك فولك ملك بيت المقدس(١١٣١-١١٤٣م) بموافقة زوجته الملكة مليزند وابنها بلدوين بمنح هيئة لازاروس عقارا في قيسارية، كما تبرع لهم راهب أرمني يدعى أبراهام بصهريج بين جبل الزيتون ونهر الأردن، وهو مكان مكنهم من جمع الصدقات من المرضى المتجهين إلي نهر الأردن للاستشفاء خاصة المجذومين منهم.

وبحلول عام ١١٥٠م اتسعت إمكانياتهم المالية مما مكنهم من شراء مساحة من الأرض في سهل بيت لحم ثمنها ١٥٠٠ بيزانت ذهبي، وهو مبلغ ضخم في ذلك الوقت. كما قدم لهم الملك عموري الأول (١١٦٣-١١٧٤م) منحة ممثلة في إيجار إقطاع يدر سنويًا خمسين بيزانت ذهبي بغرض الإنفاق على علاج المجذومين، ويبدو أن هذه المنحة جاءت بعد علمه بإصابة ابنه بلدوين بهذا الداء.

كما حصلت الهيئة على تبرعات في صورة أراضٍ داخل أوربا في كل من: فرنسا وإيطاليا وأسبانيا وألمانيا وانجلترا واسكتلندا. وأكثر التبرعات شهرة هي هدية لويس السابع ملك فرنسا التي تمثلت في قلعة وإقطاع في إقليم بيوني **Boigny** قرب أورليانز.

وقد اتخذت الهيئة من القدس مقرا لها ثم انتقلت إلي عكا عقب فتح القدس على يد صلاح الدين عام ٥٨٣هـ ــ ١١٨٧م، وظلت في عكا منذ استعادة الحملة الصليبية لها عام ١١٩١م حتى طرد الصليبيين من الساحل نهائيا عام ١٢٩١م.



عسكرة الهيئة:

كما أن نشأة الهيئة يكتنفها الغموض فإن معلومتنا عن تحولها للعمل العسكري يعانى من الضبابية. ومن الواضح أن هذا التحول حدث بسبب إصابة كثير من الفرسان الداوية بهذا المرض اللعين بجانب جموع من الفرسان العلمانيين، فالفارس سواء كان علمانيا أم تابعًا لهيئة دينية لا تسقط فروسيته بسبب الإصابة بالمرض؛ خاصة أن المرض بطيء الانتشار، ويبقى الفارس لوقت غير قصير قادر على القتال ربما يطول إلي سبع سنوات، وإن كان لا يسمح له بالاختلاط بالأصحاء، ومن ثم كان الحل في السماح بعسكرة الهيئة للاستفادة من القادرين على القتال خاصة في القرن الثالث عشر وما اعتراه من نقص بشري حاد. وهناك وثيقة مبكرة تشير إلي شراكة بين هيئة الفرسان الداوية وبين هيئة القديس لازاروس، فهذه الوثيقة تشير إلي ضمان الداوية لهيئة لازاروس في بعض الصفقات،

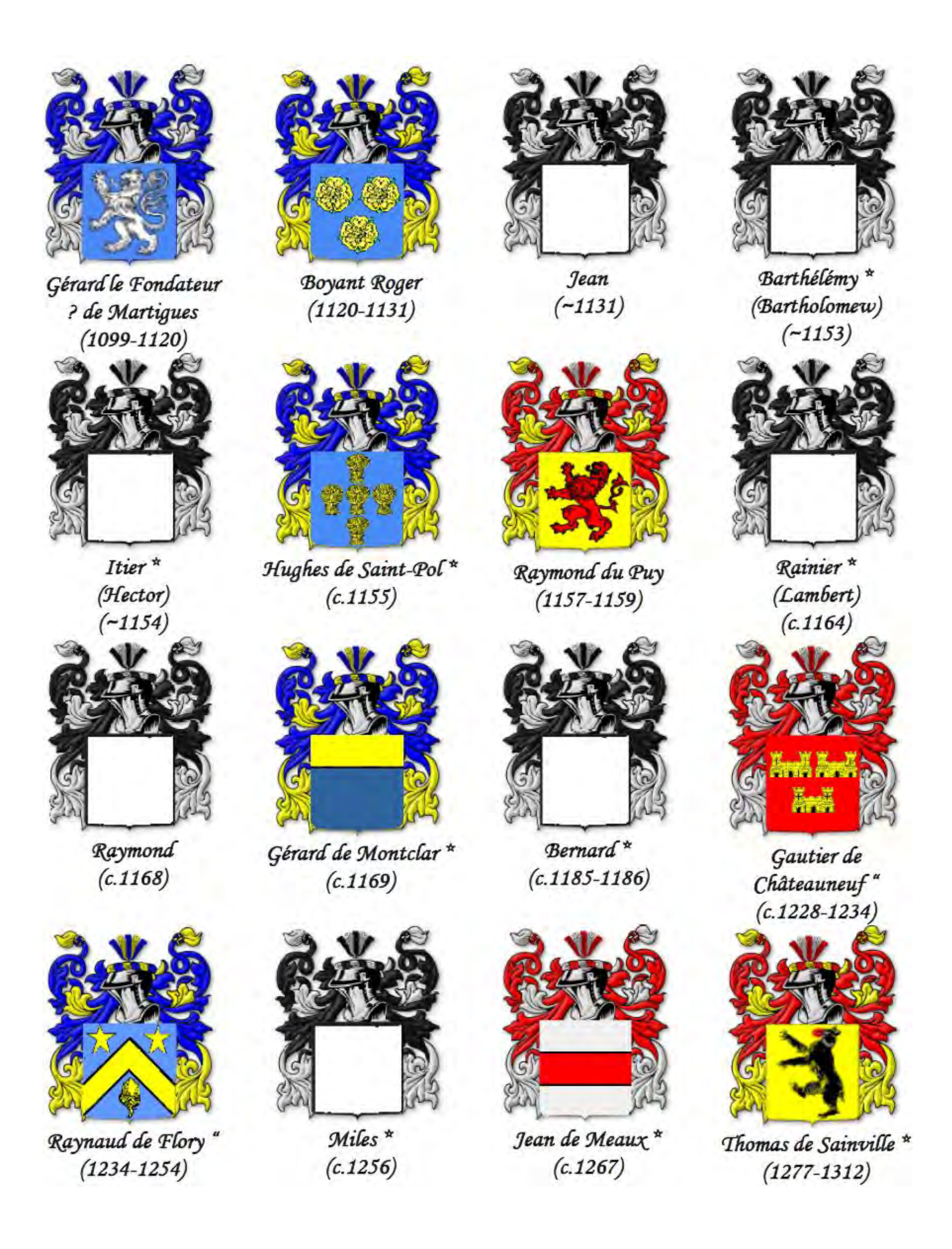
وفي عام ١٢٤٠م ساعد الداوية الفرسان المجذومين على الاستقرار في ضاحية مونتمزارد في عكا، وسمحوا لهم بحرية الوصول إلي الصهريج المجاور لبيت الداوية، كما أن قانون الداوية سمح للفرسان المصابين بالجذام بالانضمام إلي هيئة لازاروس وذلك عام ١٢٦٠.

وكان كتاب الملك وهو من أهم الوثائق القانونية للمملكة الصليبية في الساحل الشامي قد حتم في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي ضرورة انضمام الرقباء والفرسان المصابين بالجذام بالانضمام لهيئة لازاروس التي تمتلك مستشفى لرعاية المصابين بهذا المرض.

ولم يحذُ الاسبتارية حذو الداوية في إرسال المجذومين من فرسانهم إلى الهيئة؛ بل تولوا بأنفسهم رعاية من أصيب من فرسانهم وأُرجح أن ذلك بسبب تغلب الداوية على الهيئة من خلال الدعم المتواصل وانتقال النظم وغيره من علامات التقارب مع الداوية. غير أنه لم يتضح لهم دور عسكري في معارك القرن الثاني عشر لكن بدا دورهم واضحاً في القرن الثالث عشر كما سيتضح بعد قليل.

كما حرصت البابوية على الدعم المستمر للهيئة سعيا لتعويض النقص في المقاتلين الذي عانت منه ما تبقى للصليبيين من جيوب في الساحل الشامي خلال القرن الثالث عشر، وكان الدعم يتم من خلال منح مثل منحة **١٢٣٤**م التي أعلن فيها جريجوري منح الغفران لمدة عشرين يوما لمن يتبرع للهيئة بالمال أو العقار. وفي عام **١٢٤٧**م منحهم البابا أنوسنت الرابع الحق في العفو عن الإخوة المحرومين وهو امتياز لم يحصل عليه الداوية.

وفي أعقاب هزائم وخسائر الهيئة من جزاء مشاركتهم للويس التاسع في أعماله العسكرية تدخلت البابوية بقوة وأعلنت منح مائة يوم من الغفران لمن يدعم الهيئة، كما سمحت للهيئة بالحصول على ما يتم مصادرته من المرابين.


Gérard le Fondateur
? de Martigues
(1099-1120)
Boyant Roger
(1120-1131)
Jean
(~1131)
Barthélémy *
(Bartholomew)
(~1153)
Itier *
(Hector)
(~1154)
Hughes de Saint-Pol *
(c.1155)
Raymond du Puy
(1157-1159)
Rainier *
(Lambert)
(c.1164)
Raymond
(c.1168)
Gérard de Montclar *
(c.1169)
Bernard *
(c.1185-1186)
Gautier de
Châteauneuf "
(c.1228-1234)
Raynaud de Flory "
(1234-1254)
Miles *
(c.1256)
Jean de Meaux *
(c.1267)
Thomas de Sainville *
(1277-1312)

الهيكل التنظيمي:

المعلومات المرتبطة بالهيكل التنظيمي للهيئة محدودة للغاية، لكن يرجح أنها اتخذت من الهيكل الإداري للداوية نموذجاً احتذوا به، في ظل العلاقة الوثيقة بين الهيئتين بسبب انتقال الكثير من الداوية الذين أصيبوا بالجذام إلي الهيئة، وعليه يمكن القول إن المقدم كان يقف على قمة الهرم الإداري للهيئة وأقدم إشارة إلي هذه الوظيفة في المصادر تعود إلي عام ١١٥٣م، وكان يتم اختياره من فرسان الهيئة المجذومين.

وكان أول مقدمي الهيئة المعروفين يدعى بارثليميو تولى عام ١١٥٣م، وظل الأمر على هذا المنوال لمدة مائة عام تالية. وفي عام ١٢٥٣م وافق البابا أنوسنت الرابع على اختيار مقدم من الأصحاء، فمن المعروف كما ذكرنا أن هناك من الأصحاء من انضم للهيئة، كما ذكر في منحة قدمت للهيئة عام ١١٨٣م من قبل رئيس أساقفة يدعى بطرس أن منحته للمجذومين وغيرهم ممن يخدمون الرب.

أما باقي أعضاء الهيئة الإدارية فلا نعلم عنها شيئًا لكن في ظل تشبههم بالداوية، فلابد أن كان من أعضائها القهرمان (Seneschal)، والمارشال، وقادة المناطق والمسئول المالي ومسئول الملابس ناهيك عن المسئول الديني.

ملابس الهيئة:

لم نقف على ملابس معينة حددتها البابوية لتمييز الهيئة عن غيرها من الهيئات، ربما بسبب وجود ما يميز الجماعة عن غيرها وهو الاشتراك في المرض؛ غير أن الهيئة التي تم إحياؤها في العصر الحديث اعتادت ارتداء عباءات سوداء ذات ياقات خضراء من المخمل مع خياطة صليب أخضر اللون على الجانب الأيسر من العباءة، وإلى حد كبير هناك تشابه بين هذه العباءة والعباءة التي ظهرت في جدارية رسمت في كنيسة في بايوني لتوماس سانفيلي المتوفي عام **١٣١٢**م آخر مقدمي الهيئة في الأرض المقدسة، والتي لسوء الحظ رسمت بالأسود والأبيض وبالتالي لم نتأكد من اللون. لكن من خلال الصورة يبدو أن توماس هذا كان صحيحاً وليس مجذوماً.

نظام الإعاشة:

أقام أعضاء الهيئة من المجذومين والأصحاء في نزل خاصة بهم وكانت في الغالب في أطراف المدينة، كما كان الأمر في القدس في شمال غربي المدينة، وفي عكا في ضاحية مونتمزارد، كما يبدو من الخرائط التي رسمت للأرض المقدسة في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، حيث ظهر منزل الفرسان المجذومين خلف أسوار مونتمزارد قرب بوابة القديس لازاروس في منطقة

كانت تسمى **Custodia Templariorum** في الركن الشمالي من الضاحية، وقد اشترك الأصحاء والمرضى في نفس النزل غير أن كلاً منهم كان له مكان مخصص حرصاً على الأصحاء الذين خدموا الهيئة رغبة في تكفير ذنوبهم. وكان الأصحاء يخدمون من أقعدهم المرض بتمريضهم وتنظيف وتجهيز مكان إقامتهم ونومهم وتقديم الطعام والملابس لهم، كما تولوا نقل مخلفاتهم بعيدًا عن نزل الهيئة، ومن الأصحاء من تفاني في خدمة المرضى مثل كاني البريك الذي كان يغسل أرجلهم ويجففها ويحمل قاذوراتهم، وإمعانا في ذل نفسه كان يغسل وجهه في مخلفاتهم. كما استمرت هيئة الداوية في تزويد من أصيب من فرساها بالجذام وصار من أعضاء هيئة لازاروس بالملابس والعبيد والحمير بالإضافة للدعم المالي.

وكان يوم العمل في مقر الفرسان المجذومين محكومًا بنظم صارمة تقوم على أساس الخدمات والواجبات والعقوبات على المخالفين. وكان المستشفى التابع للهيئة حريصًا على تقديم نظام غذائي متوازن للمرضى سعيا لتخفيف الآلام عنهم، ويرى الباحث **Jankriff** أنه كان في قدرة مستشفى الهيئة في القدس استقبال ألف مريض توفر لهم الملابس والإقامة والرعاية الصحية والطعام، غير أننا نرى أن هذا الرقم مبالغ فيه للغاية، في ظل ضعف إمكانيات الهيئة بالرغم من كثرة ما قدم لها من دعم من مختلف الجهات الدينية والعلمانية.



الدور العسكري للهيئة في بلاد الشام:

لم يتضح الدور العسكري للمجذومين إلا في القرن الثالث عشر، غير أنهم خلال القرن الثاني عشر كلفوا بالدفاع عن قلعتي خربت زيت **Kharbet Zeit** و**Madjel el Djemriah**، ومع استعادة صلاح الدين للقدس عام ١١٨٧م وضع مقر الفرسان المجذومين تحت حمايته الشخصية، وضمن خروجهم بأمان من المدينة ومعهم من لم يستطع دفع الفدية ومعظمهم ترك المدينة من بوابة القديس لازواروس بجوار مقر المجذومين.

ويرجح مالكوم باربر أن رحمة صلاح الدين بالمجذومين كانت واسعة لدرجة أنه أمهلهم عامًا كاملاً ليجدوا مأوى جديد. ويبدو أنه كان لهم أدوار عسكرية مجهولة ودليل ذلك مرسوم البابا جريجوري التاسع عام ١٢٣٤م الذي دعي فيه لمساعدة الهيئة في سداد ديونها التي غرقت فيها من أجل الدفاع عن الأرض المقدسة.

وقد ظهرت مشاركتهم العسكرية بوضوح في معركة الحربية ١٢٤٤م قتل كل من شارك فيها من الفرسان المجذومين على حد وصف **Robert de Nantes** بطريرك القدس، كما أشار المؤرخ الإنجليزي متى الباريسي إلي مشاركة الفرسان المجذومين في حملة لويس التاسع على مصر ١٢٤٨-١٢٥٠م وقاتلوا في موقعة المنصورة ١٢٥٠م. كما شاركوا لويس حملاته العسكرية التي قام بها في الساحل الشامي فيما بين عامي ١٢٥٠-١٢٥٤م.

ففي عام ١٢٥٢م تعرض الفرسان المجذومون لكارثة وصفها لنا جوانفيل مؤرخ حياة لويس التاسع كالتالي: "وبينما كان الملك أمام يافا، قام مقدم رهبان القديس لازاروس بالتجسس قرب الرملة – وهي بلدة تبعد مسافة ثلاثة فراسخ– فشاهد عدداً من القطعان وأشياء متنوعة أخرى، فخيل إليه أنه بإمكانه الحصول على غنيمة ثمينة.

وبما أنه لم يكن رجلاً له مكانته في الجيش، لهذا كان يعمل تماما ما يروق له، فانطلق نحو ذلك المكان دون أن يقول كلمة إلي الملك، وكان بعدما جمع أسلابه هاجمه المسلمون وألحقوا به هزيمة ساحقة، إلي حد أنه لم ينج من جميع الرجال الذين كانوا برفقته أكثر من أربعة". وفي محاولة لإنقاذ الموقف أسرعت قوة من الداوية و الإسبتارية بقيادة جوانفيل إلي مكان الصدام. وتعليق "كونه رجلا ليس له مكانة في الجيش" وبالتالي كان قادرا على التصرف كيفما يشاء، يوحى بأن الهيئة كانت تمثل مجموعة من المتطوعين أكثر منهم نظاميين.

ونظراً لضخامة خسائر الهيئة في هذه الحملة فقد صدر قرار بابوي عام ١٢٥٣م يسمح لغير المجذومين من الفرسان بتولي وظيفة المقدم. وفي نفس العام التزم لويس التاسع بالاستجابة لطلب هيئة لازاروس بالسماح بإرسال سفينة لميناء أجيوس مورتس معفاة من الضرائب، أو القيود بسبب خسائر الهيئة الكبيرة التي لمسها لويس بنفسه. ونظرا للجهود العسكرية للهيئة وما تعرضت له من خسائر في ظل ضعف إمكانيتها المالية مقارنة بباقي الهيئات الدينية العسكرية، فقد منحت البابوية للفرسان المجذومين بعض الامتيازات لدعم موقفهم المالي، منها السماح لهم بالحصول على بعض العشور الكنسية في أوربا.

وفي عام ١٢٥٨م وخلال الحرب الأهلية التي اندلعت في الساحل الشامي بدءا من عكا والتي عرفت اصطلاحا بحرب القديس سابا، لجأ توماس بيرارد مقدم الفرسان الداوية، إلي برج الفرسان المجذومين، في ظل تعرض برج الداوية لإطلاق النار من قبل الجنوية بسبب تأييد الداوية للجانب البندقي، غير أن هذا الدعم لم يمكن للهيئة عسكريا إذ لم يظهر لهم دور بارز حتى نهاية التواجد الصليبي في الساحل الشامي عام ١٢٩١م، لكن صمت المصادر لا يمنع مشاركتهم مع افتراض تصاعد قوتهم بعد السماح لغير المجذومين بتولي منصب المقدم، كما أن مشاركتهم في الدفاع عن عكا عام ١٢٩١م أمر لا ينكر في ظل مسئوليتهم عن حماية أحد الأبراج في سور عكا الخارجي، كما كان بمقدور مقدم الفرسان المجذومين توماس سينفلي **Thomas de Sainville** (١٢٧٧-١٣٠٤م) أن يوفر قوة من ٢٥ فارس.

وفي ليلة ١٥ و ١٦ إبريل خرجت هجمة من باب القديس لازاروس تحت قيادة وليم بيجي، مقدم الداوية لمحاولة كسر آلات الحصار لكن قوات الصليبيين التي كانت تضم فرسانًا من الهيئة نكست حين تعثرت خيولهم بحبال خيام المسلمين في الظلام.

وبعد حصار مرير أمر السلطان بالهجوم الأخير في ١٤ مايو وسقطت عكا مخلفة مشاهد مجزرة مروعة. ومات كل فرسان القديس أليعازر تقريبا. وكانت تلك نهاية الهيئة في الأرض المقدسة.

ومن الجدير بالذكر أنه كان من المعتاد أن يكون موضع الفرسان المجذومين في الجيش الصليبي في المقدمة ككتيبة استطلاع وقد قبل المجذومون هذا الموضع الخطير في ظل اعتبار أنفسهم موتى في عداد الأحياء؛ بسبب مرضهم العضال، كما أن هذا الموضع يحقق للصليبيين العديد من الفوائد كما ظنوا:

- أولها: بعدهم عن الفرسان الأصحاء وبالتالي لا ينتشر المرض بين أفراد الجيش.
- ثانيها: تحقيق فائدة الاستطلاع والإتيان بالأخبار.
- ثالثها: إصابة المسلمين بالذعر أو على الأقل نقل العدوى إليهم حال الالتحام.

والملفت للنظر أن الفرسان المجذومين كانوا شبه مستقلين في أعمالهم العسكرية حتى أن جوانفيل مؤرخ حياة لويس التاسع يصف مقدم الهيئة بقوله: "أنه رجل لا يحمل أي رتبة عسكرية، لكنه الذي يمكنه فعل ما يشاء".

نهاية الهيئة:

بعد فتح الأشراف خليل بن قلاوون لعكا وما تلاه من تهاوي باقي المعاقل الصليبية انتقلت الهيئة إلي فرنسا حيث قلعة بيوني، ونظرا لضعف الهيئة فقد حاول البابا أنوسنت الثامن عام ١٤٩٠ أن يدمجهم مع الفرسان الاسبتارية لكن المجذومين صمموا على استقلالهم. كما جرت محاولة أخرى عام ١٥٧٢م لدمجهم مع هيئة القديس موريس لكنها كان محاولة فاشلة أيضاً.

ومع اندلا ع الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م تم تصفية الهيئة في فرنسا وإيطاليا، غير أن الهيئة تم إحياؤها في القرن التاسع عشر ليقتصر دورها على الأعمال الخيرية والعلاجية لا غير.

الملاحق

ملحق رقم (١)

قائمة بمقدمي الهيئة في بلاد الشام

١- جيرارد Gerard ١٠٩٩-١١٢٠م.

٢- بويانت روجر Boyant Roger ١١٢٠-١١٣١م.

٣- حنا Jean ١١٣١م

٤- بارثليميو Bartholomew ١١٥٣

٥- هكتور Hector ١١٥٤م

٦- هي ودي سان بول Hugh de Saint pol ١١٥٥م.

٧- ريموند دي بوي Raymond de Puy ١١٥٧-١١٥٩.

٨- رانير Rainier ١١٦٤م

٩- ريموند Raymond ١١٦٨.

١٠-جيرارد دي مونتكلار Gerard de Montclar ١١٦٩.

١١-بيرنارد Bernard ١١٨٥-١١٨٦م.

١٢-جيتي ردي شاتينوف Gautier de Chateauneuf ١٢٢٨-١٢٣٤م.

١٣-رينود فلوري Raynaud de Flory ١٢٣٤-١٢٥٤.

١٤-ميلز Miles ١٢٥٦م.

١٥-حنا دي مي Jean de Meaux ١٢٦٧.

١٦-توماس دي سانفيل Thomas de Sainville ١٢٧٧-١٣١٢.

ملحق رقم (٢)

دليل القراءة عن الفرسان المجذومين

- جوانفيل، القديس لويس وحملاته على مصر والشام، ترجمة د.حسن حبشى، القاهرة، ١٩٥٨م.
- متى الباريسي، التاريخ الكبير، أربعة أجزاء، ترجمة د.سهيل ذكار، ضمن الموسوعة الشامية، ج، دار الفكر، دمشق.

- **Fragment d'um Cartulaire de L'Order de S. Lazare, Genes, ١٨٩٣.**
- **David Marcombe, LEPER KNIGHTS ,The Order of St Lazarus of Jerusalem in England, c.١١٥٠–١٥٤٤, ٢٠٠٣.**
- **Malcolm Barber: The Order of Saint Lazarus and the Crusades, The Catholic Historical Review, Vol. ٨٠, No. ٣ (Jul., ١٩٩٤), pp. ٤٣٩-٤٥٦.**
- **Theresa M. Vann, Order ofSt. Lazarus, in The Crusades, an Encyclopedia, ed. By Alan V. Murray, ٢٠٠٦. Pp ٧١٩-٧٢١.**

- **Order of Saint Lazarus From Wikipedia, the free encyclopedia, http://en.wikipedia.org/wiki/Order_of_Saint_Lazarus ١٦-Oct-١١**

وهناك عمل وحيد باللغة العربية:

سرور عبد المنعم، فرسان القديس لازاراوس، مجلة المؤرخ المصري، العدد ٢٨، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٤٠-١٨٢ .

الخاتمــــة

من خلال فصول الكتاب الخمسة تعرفنا عن قرب على أهم الهيئات الدينية العسكرية التي أفرزتها حلقة من حلقات العلاقات بين الشرق المسلم والغرب المسيحي في العصور الوسطى. ومن تتبعنا للفصول الخمسة بدا لنا مقدار ما قدمته البابوية لدعم وتثبيت هذه الهيئات حتى يتحقق هدف البابوية المزدوج من نشأة هذه الهيئات؛ لتكون يد البابوية في الشرق بعد فشل قيام ملكية ثيوقراطية في القدس واستبدالها بالملكية العلمانية الإقطاعية، ولتكون سيف البابوية في قتال المسلمين في الساحل الشامي.

وتعرفنا على وسائل البابوية لدعم هذه الهيئات مثل: الدعم العيني والمادي والامتيازات التي منحتها لها في بلاد الشام وفي أوربا حتى صارت الهيئات جميعا ذات فروع متعددة في الساحل الشامي وفي أوربا على حد سواء، ومن هنا لم تختف هذه الهيئات بانهيار ما بنى الصليبيون في الشام عام **١٢٩١**م لكن كان لها حلقة أخرى من التواجد في أوربا. منها اختفى بعد أمد قريب مثل الداوية ومنها ما استمر لأمد بعيد يؤرق مضجع القوى الإسلامية في ساحل جنوب المتوسط مثل الاسبتارية.

وبالرغم من تفاوت الدور الذي قامت به هذه الهيئات في الصراع الإسلامي الصليبي غير أنها جميعا لم تلتزم بما أقسمت عليه حال نشأتها من الالتزام بالفقر والتفرغ لنصرة المسيح بل افتتنت بما تدفق عليها من أموال فحادت عن جادة الصواب خاصة الداوية و الاسبتارية مما أثار الرأي العام الأوربي على هذه الهيئات قبل أن تحرص القوى الإسلامية على الخلاص منها بالتصفية الجسدية.

الفهـــرس